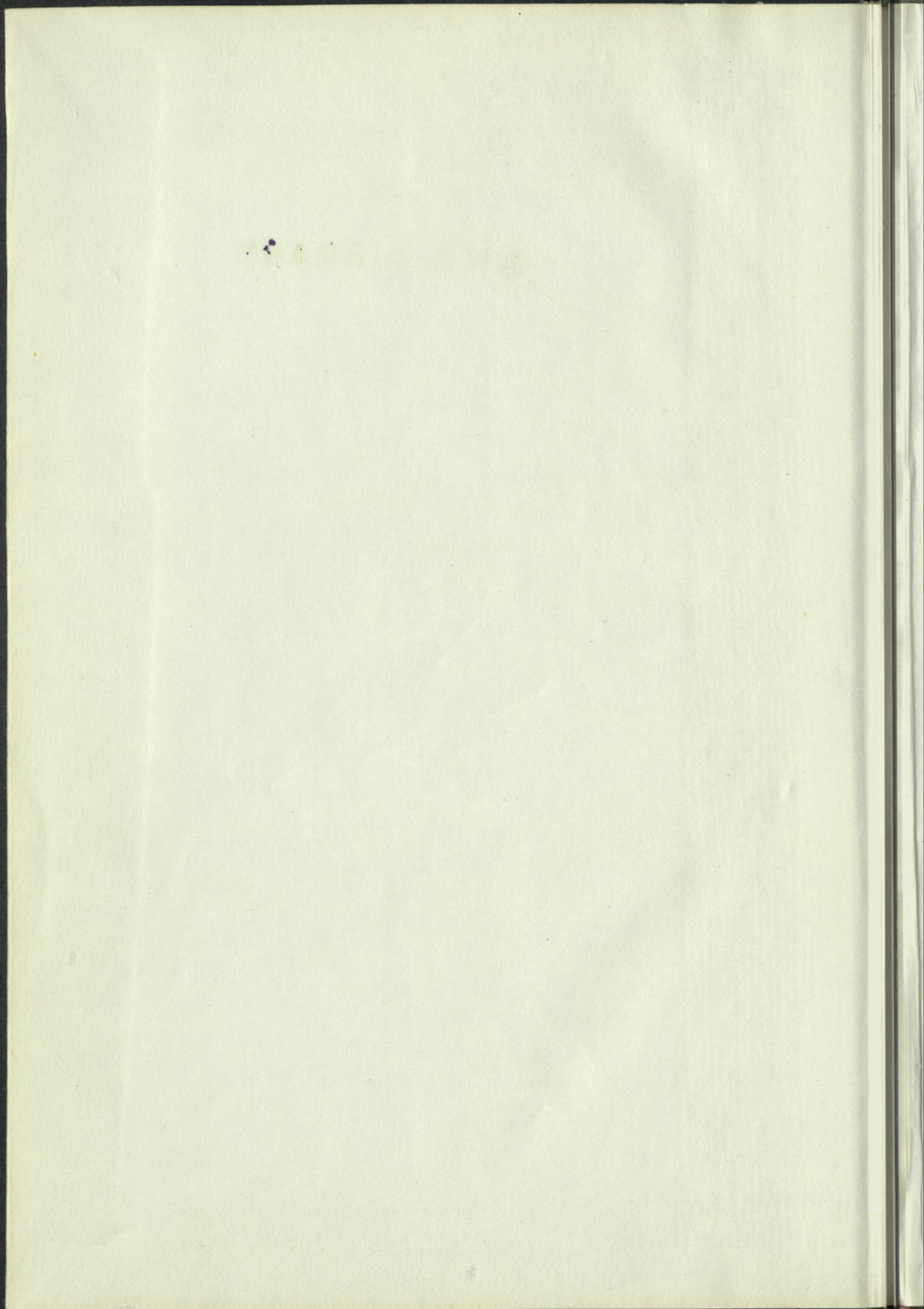
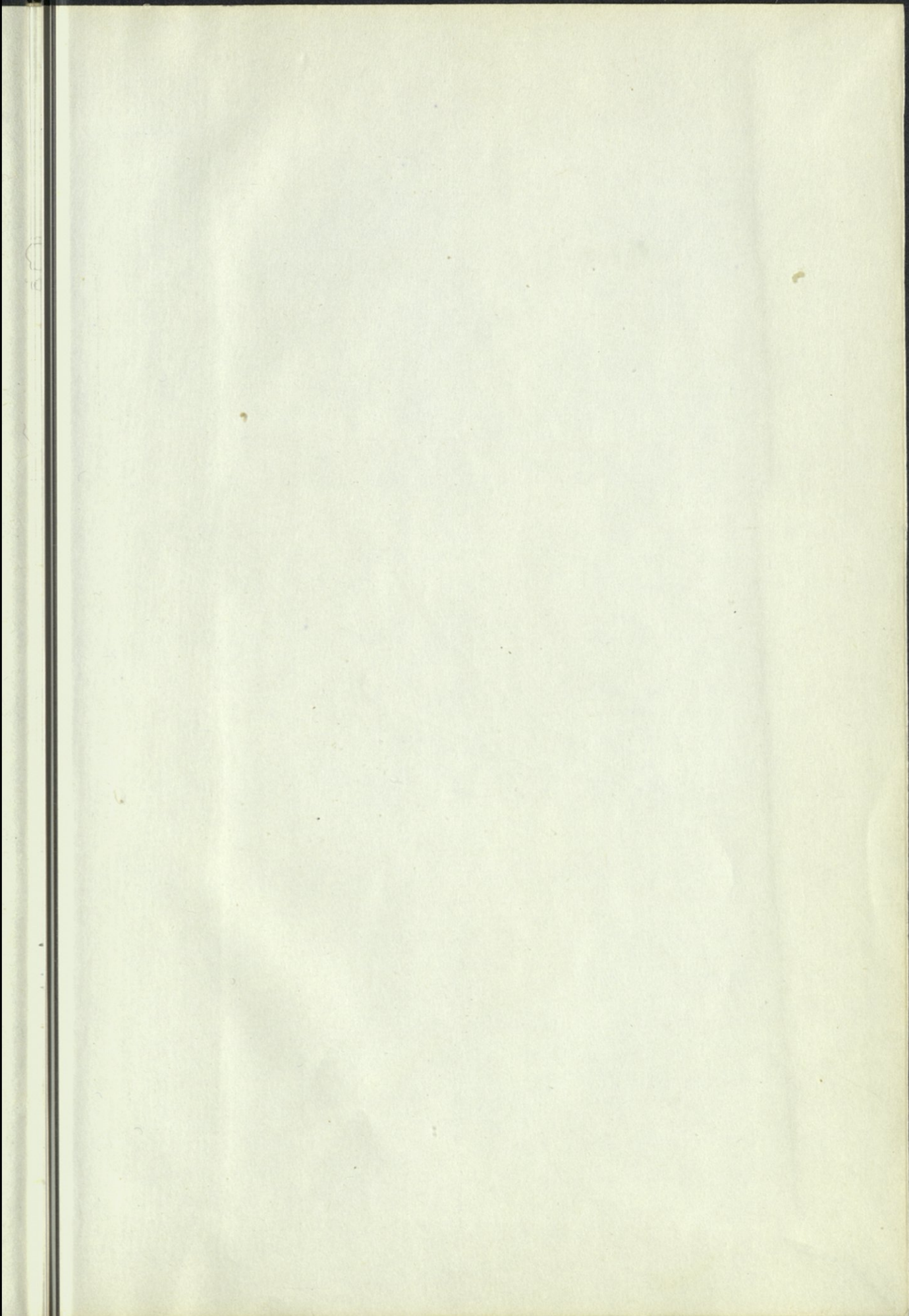
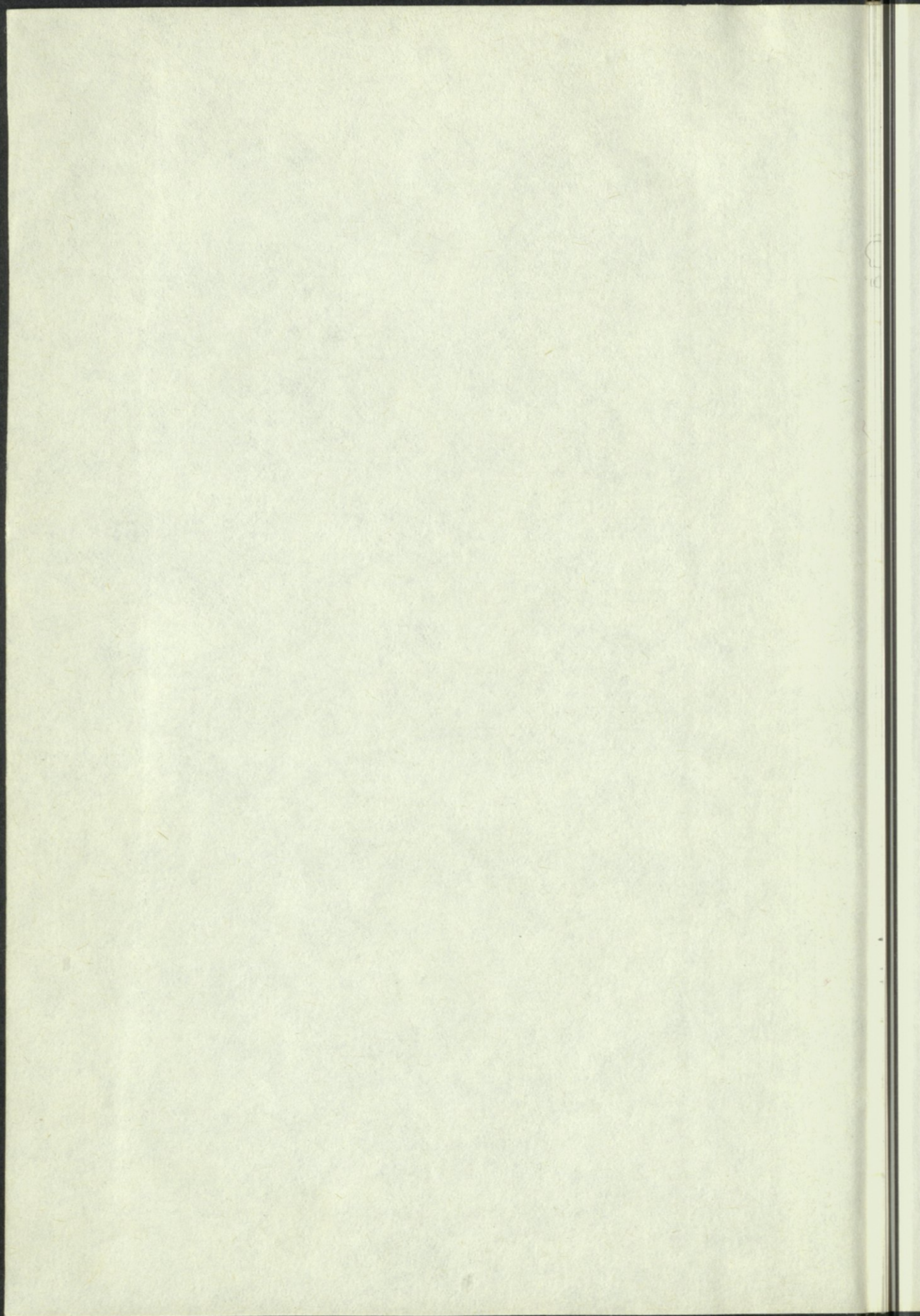


AU. B. LIBRARY









492.72

M191A

C.1

كتاب

الاشتقاق والتعريب

يبحث في ما يعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطة
الاشتقاق والتعريب . وأن هذا الأخير طبيعي في لغتنا
وفي غيرها من اللغات . وأن استعمال المعرب
لا يحط من قدر فصاحة الكلام
والاستشهاد على ذلك

تأليف

عبد القادر بن مصطفى المغربي

من طرابلس الشام

وأحد محرري جريدة المؤيد

بمصر

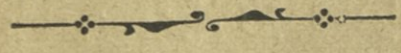
طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله
 الصادق الامين . وبعد فان أمتنا العربية في أشد الحاجة الى
 نشر العلوم بين ظهراني أبنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم
 وافياً بالحاجة ما لم يكن بلغة المتعلمين التي نشأوا على التفاهم بها .
 ولن تصلح اللغة العربية لاداء هذه الوظيفة ما لم تنم وتوسع
 دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج اليها في تلقين تلك العلوم
 والفنون . ولتوفر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان :
 « الاشتقاق » و « التعريب » أعني جعل الكلمة الالجمية عربية .
 وقد نرى الغريب عن اللغة . البعيد عن معرفة أسرارها . يرميها
 بضيق العطن . وقلة الكلمات المحتاج اليها في المطالب العصرية
 المختلفة . وأن اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . واذا عذرنا
 هؤلاء فلا يحسن أن نعذر أبناء اللغة أنفسهم الذين عرضوا عن
 الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما أقاموا العوائير في سبيل

ذلك الانتفاع . وليتني كنت أدري ما هو حدُّ التعريب عند
 أولئك الفضلاء؟ وما هي طريقته وشروطه في رأيهم؟ وكيف
 إذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عُرِّبت وشاعت بين أهلها
 وطابت لها نفوسهم ومَرِنَتْ عليها ألسنتهم - حوَقَلُوا وسبَحَلُوا
 وعدُّوا دخولها في تراكيب اللغة كدخول ميكروب الامراض
 الحبيثة في تجاليد الانسان العزيز عليهم: فهم يعملون على إخراج
 والتخلص من شره بأية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون
 أصواتهم بالانتصار للغة والاعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج
 على أولئك الذين يرمونها بالاملاق . وضيق النطاق
 واني لا أرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين . ما لم يعملوا
 على إحياء هاتين القوتين « الاشفاق » و « التعريب » وتمهيد
 السبل للانتفاع بهما

وقد أثبت في كتابي هذا أن التعريب قياسي او هو طبيعي
 في اللغة لا تيسر مقاومته . وأن المعربَّ عربي: فاستعماله في الكلام
 الفصيح لا يحط من قدر فصاحته . ولا يُخْرِجُ البليغ عن بلاغته . فان
 أصبت في رأيي فتلك المثلى . وإن كانت الاخرى . فليست بالاولى



أما
 افرا
 جد
 وعد
 نسل
 الام
 افرا
 الان
 يتنا
 والة
 من
 في

مقدمة

الامة تنمو وتكثر أفرادها بطريقتين : التوالد والتجانس .
أما الاول فظاهر في ان الامة ترجع بشعبها وفروعها الى بضعة
افراد من اجدادها . او الى جد واحد احيانا كيعقوب بن اسحق
جد الامة الاسرائيلية . ويعرب بن قحطان جد عرب اليمن .
وعدنان جد عرب الحجاز . فان هؤلاء الاجداد الثلاثة
نسلوا اولاداً . وهؤلاء الاولاد نسلوا . وهكذا تكونت هاتان
الامتان العظيمتان : الامة اليهودية والامة العربية . وتكاثرت
افرادهما .

ولكن اذا قلنا اليوم « الامة العربية » لا يراد من اطلاقها
الاناسي الذين انحدروا من صلب يعرب او عدنان فقط بل
يتناول ايضاً قوماً آخرين من مثل الفرس والروم والسريان
والقبط والبربر لا نسبة بينهم وبين يعرب او عدنان . وليسوا هم
من سلالتهم . وانما امتزجوا بهذه السلالة . ونطقوا بلغتها . واندمجوا
في مطاويها . فكانوا عرباً . ونتمصوا جنسية العرب . ولو قلنا

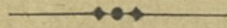
للخمسين مليون عربي الموجودين اليوم - لِيَعْتَرِ كُلُّكُمْ الى
 جده الذي كان منذ آلاف من السنين - لما اعتزى الى يعرب
 وعدنان منهم سوى عشرة ملايين أو أقل . فالامة العربية
 اذن تكاثرت بطريق ثان غير التوالد . وهو ما سميناه بالتجنس .
 اي الاندغام في الجنس

وتكاثرت الامة العربية بالتجنس لم يحصل بتأثير الاسلام ولا
 بفتوحاته فقط وانما كان يحصل ايضا قبل الاسلام . وفي زمن
 التفاف الامة في جاهليتها . وانبحارها في جزيرتها . وقد كانت
 لذاك العهد قسمين : قسم يقال له العرب العاربة . ويريدون
 بهم اولاد قحطان . وهؤلاء هم الاصل في العروبة . وقسم
 يقال له العرب المستعربة . وهم اولاد عدنان الذي هو من
 سلالة اسماعيل بن اسحق صلوات الله عليهما . واسماعيل عبراني
 العرق . لكنه تجنس بالجنسية العربية . ولا بس العرب . ونطق
 بلغتهم . وصار منهم وفيهم . فلم تكن سلالة خالصة العروبة .
 قال رجل لعلي كرم الله وجهه : اخبرني يا امير المؤمنين عن
 اصلكم معاشر قريش . فقال نحن قوم من « كوثي » . وكوثي بلد
 بالعراق بها ولد ابراهيم عليه السلام

وقد تكاثرت الامة العربية بأولاد اسماعيل لا عن طريق
التوالد بل عن الطريق الآخر - طريق التجنس والتعرب . وهذا
لا يقدح في عروبتهم . ولا يخرجهم من الجنس العربي . ولا يحط
منزلتهم عن منزلة العرب العاربة - حتى هؤلاء فان بعض المحققين
من مؤرخي العصر يرى ان اصلهم من بلاد الحبشة نزولوا اليمن واختلفوا
بأهلها وصاروا عرباً . ويكفيك شاهد أعلى صحة عروبة بني اسماعيل .
أنه صلى الله عليه وسلم من اولاد اسماعيل المستعربين . فلو كانوا
مفضولين لما ابتعث الله سيد الخلق منهم .

وإذا تدبرت ما قلناه في نمو الامة من حيث التوالد والتجنس
وجدته منطبقاً تمام الانطباق على نمو لغتها من حيث الامران
المذكوران أيضاً : فلغة الامة العربية كانت لأوّل عهدها
مؤلفة من أصول قليلة . وكلمات ساذجة . ثم تهيئت لها
أسباب الارتقاء فأخذت تنمو وتكاثر بالطريقين أو العاملين
الذين أثار في نمو الامة نفسها وتكاثرها . فكانت تلك الاصول
والكلمات توالد وتتناسل وتجنس غيرها من كلمات اللغات
الآخري بجنسيتها . وهنا نخالف في التعبير : فنضع كلمتي

« التوالد » و « التجنس » اللتين استعملناهما في نمو الامة .
 ونستعمل مكانهما في نمو اللغة كلمتي « الاشتقاق » و « التعريب »
 فالاشتقاق في اصول كلمات اللغة العربية بمثابة النتاج والتوليد
 في الافراد المتكلمين بها . والتعريب في الكلمات الدخيلة
 الطارئة على تلك اللغة - كالتعرب بالنسبة للدخلاء في الامة
 العربية . والملتحمين بها . ولكن نمو الامة اكثر ما يكون
 بالتوالد . على العكس من اللغة : فان اكثر نموها بالتعريب . واذ
 عرفنا ان النمو في اللغة آية من آيات حياتها . وان العاملين
 المؤثرين في ذلك النمو انما هما « الاشتقاق » و « التعريب »
 وجب علينا نحن ابناء اللغة العربية ان ندرس في الاشتقاق
 والتعريب حق الدرس . ونقتلها بحثاً وتدقيقاً . كي نتوصل
 بذلك إلى إمداد لغتنا بالحياة الدائمة . والنمو المتواصل .



الاشتقاق

هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً
وتغايرها في الصيغة . أو يقال هو تحويل الاصل الواحد الى
صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الاصل : فمصدر «ضرب»
يتحوّل الى «ضرب» فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي
والى «يضرب» فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا . وهذا
التحوّل والاشتقاق انما يلحق الاصول الدالة على الافعال والاحداث
لان هذه التي تتغير وتستحيل من طور الى طور لما ينتابها من
العوارض : فالضرب مثلاً يختلف باختلاف زمن حدوثه وباختلاف
الفاعلية والمفعولية الى غير ذلك من الاعتبارات . اما الاصول الدالة
على المواد والاعيان - وهي ما يسمونه بالجواهر والاسماء الجامدة - فليست
بهذه المثابة . ولا تلابسها هذه العوارض . فكلمة «ارض» تدل على
هذا الجسم الكروي الذي نعيش عليه . ولا يطراً عليه من
العوارض ما يطراً على الافعال والاحداث . فلا انفضه . ولا
يشتق منه غيره . اللهم إلا ما سمع عن أهل اللغة أنفسهم . وما حولوه

هم بألسنتهم: كإدّة «حجر» التي اشتقوا منها استحجر الطين .
 ومن «ناقة» استنوق الجمل . ومن «سيف» سافه أي ضربه
 بالسيف . ومن «الرأس» رأسه إذا أصاب رأسه .

وقد يقال ان الاشتقاق سماعي بالجملة أي يرجع فيه
 الى ما ورد عن العرب انفسهم : فالاسم الجامد الذي سمع أنهم
 حولوه واشتقوا منه نتابعهم فيه . والمصدر الذي سمع أنهم
 اشتقوا منه صيغاً معدودة لنا أن نستعملها . وننطق بها . ومالا
 فلا . فليس لك أن تشتق من كلمة «المحصا» الجامدة فعلا
 كاستحجر . ولا من كلمة «سهم» سهمه . و«رجل» رجلاه
 تعني رماه بالسهم وأصاب رجلاه . كما قالوا في السيف سافه . وفي
 الرأس رأسه . هذا ما يقال بالنسبة للجواهر . ومثل ذلك يقال
 في المصادر واسماء الاحداث : فاننا نقتصر في المشتقات منها على
 ما سمع منهم . ونقل الينا عنهم . فلا نشق من النحافة «ناحف»
 كضامر وقد قالوا هم «نحيف» . ولا من الكشح «كشيح»
 بمعنى مضمحل العداوة وقد قالوا هم كاشح . ولا من السخبط

سَخَّطَهُ بِتَشْدِيدِ الْخَاءِ كَهَيْجِهِ إِذَا أَغْضَبَهُ وَقَدْ قَالُوا هُمْ أَسَخَّطَهُ
 بِالْهَمْزَةِ . وَاشْتَقُوا مِنَ الْحَبِّ «مُحِبُّوبٌ» وَلَمْ يَشْتَقُوا «حَابٌّ»
 فَلَا نَسْتَعْمَلُهُ - وَمَنْ أَحَبَّ «مُحِبٌّ» بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ وَلَمْ
 يَشْتَقُوا «مُحِبٌّ» بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ فَلَا نَقُولُهُ نَحْنُ وَهَكَذَا
 وَمَحْضَلُ الْقَوْلِ أَنَّ اشْتِقَاقَ كَلِمَةٍ مِنْ أُخْرَى مِمَّا يَقْصِدُ إِلَيْهِ
 الْعَرَبُ . وَلَهُ عِنْدَهُمْ قِيَاسٌ يَعْرِفُونَهُ . وَأَسْلُوبٌ يَجْرُونَ عَلَيْهِ . وَلَا
 يَجُوزُ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ أَنْ يَفْتَاتَ عَلَيْهِمْ فِي اشْتِقَاقِ مَا لَمْ يَشْتَقُوهُ
 هُمْ . قَالَ ابْنُ فَارِسٍ «أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ إِلَّا مَنْ شَدَّ مِنْهُمْ أَنَّ
 لِلُّغَةِ الْعَرَبِ قِيَاسًا . وَأَنَّ الْعَرَبَ تَشْتَقُ بَعْضَ الْكَلَامِ مِنْ بَعْضٍ .
 وَأَنَّ اسْمَ الْجَنِّ مُشْتَقٌّ مِنَ الْاجْتِنَانِ . وَأَنَّ الْجِيمَ وَالنُّونَ تَدْلَانِ
 أَبَدًا عَلَى السُّتْرِ : نَقُولُ الْعَرَبُ لِلدَّرْعِ جِنَّةٌ . وَأَجْنَهُ اللَّيْلِ . وَهَذَا
 جَنِينٌ أَيُّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . وَإِنَّ الْأَنْسَ الظُّهُورُ : يَقُولُونَ أَنَسْتُ
 الشَّيْءَ أَبْصَرْتَهُ . وَعَلَى هَذَا سَائِرُ كَلَامِ الْعَرَبِ . عِلْمٌ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ .
 وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلٍ . قَالَ وَهَذَا مَبْنِيٌّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ تَوْقِيفٌ :
 فَإِنَّ الَّذِي وَقَفْنَا عَلَى أَنَّ الْاجْتِنَانَ السُّتْرَ هُوَ الَّذِي وَقَفْنَا عَلَى

ان الجن مشتق منه . وليس لنا اليوم ان نخترع . ولا أن نقول
 غير ما قالوه . ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه . لأن في ذلك
 فساد اللغة . وبطلان حقائقها . قال : ونكتة الباب أن اللغة
 لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن « انتهى كلامه فمواد اللغة العربية
 أذن أشبه بأُمَّتٍ وُلِدَ منها أهل اللغة أولاداً وذراري هي
 المشتقات . وقد كانت بعض تلك الأمم والذراري نافرة
 ابدة في البوادي وبين أحياء العرب . والبعض الآخر منها
 مستأنساً متحضراً . فجاء الاصمعي وأبو عبيدة وأضرابهما
 فأنسوا شواردها . وقيدوا أوابدها . ثم جعلوا يدلون بها الى
 أصحاب المعاجم . والمشتغلين بالتدوين . فأودعها هؤلاء معاً أودعوا
 بطون الأسفار . كما يودع المؤلفون في فن المملكة الحيوانية
 في تأليفهم - أسماء الحيوانات ورتبها وأجناسها . وبيركة هذه
 القوة - قوة الاشتقاق أو التوالد - نمت لغة العرب وتكاثرت حتى
 بلغ عدد كلماتها على ما قاله حمزة الاصفهاني ١٠٥٢ . ١٢٦٣٥
 كلمة . ما بين مشتق واسم جامد وعلم شخص . اما المشتقات
 وحدها فقد بلغت سبعين ألف كلمة . ولم يبخل العرب -

كيف والكرم من سجاياهم - على بعض المعاني: فوضعوا لها اسماً تفوق
 حد التصور: فكان للسيف الف اسم . ولشعبان مائتان . وللأسد
 خمسمائة . وللداهية اربعمائة . حتى قال الثعالبي « تكاثر اسماء
 الدواهي من الدواهي . »

وطريقة الاشتقاق هذه وتشعب أفانينه على هذه الصورة
 ربما كان من مزايا لغة العرب التي انفردت بها . وهو وحده
 كاف في الدلالة على أن تلك اللغة انما تكونت بمقتضى ناموس
 النشوء والارتقاء الطبيعي - وعلى تزيف قول من قال ان
 اللغة أنزلت فجأة . أو ألهمت بغتة . أو أن يقال فيها مثلاً قيل
 في « حتى » « هكذا خلقت »

وإذا أذعننا الى هذا الرأي في تكون اللغة من أنه كان
 على مقتضى ناموس طبيعي - كان علينا أن نساعد هذا الناموس
 في عمله مساعدةً يظهر أثرها في حياة لغتنا العربية وانتعاشها
 ومجاراتها لغيرها من اللغات الحية التي تريد القضاء عليها
 والحلول محلها .

وما قلناه آنفاً من أن الاشتقاق هو من وسائل نموّ
 اللغة . وتوالد موادّها . وتكاثر كلماتها - انما نعني به ما يسمونه
 الاشتقاق الصغير . وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في
 الحروف والترتيب : مثل اشتقاق «ضرب» « يضرب » «اضرب»
 «ضارب» « مضروب » من مادة الضرب . وهذا النوع من
 الاشتقاق هو الذي يتبادر الى الذهن عند الاطلاق . لأنه
 الاوسع دائرة . والاكثر نتاجاً . والافان في لغة العرب ووسائل
 أخرى لنموها وتكاثر كلماتها هي من قبيل الاشتقاق الصغير
 المذكور إلا أنها تجري على نمط آخر . وتتحرك في دائرة
 أضيق . وأريد بها «القلب» و«الابدال» و«النحت»

القلب

ويقال له ايضاً الاشتقاق الكبير . وهو أن يكون بين
 اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب : مثل فعل
 «جَبَدَ» المشتق من مادة «الجذب» . فان الحروف في المشتق

هي عينها في المشتق منه . والمعنى فيهما متناسب . وإنما الفرق
بينهما أن الباء في الأول قبل الذال على عكس الثاني . وهذا
ما أرادوه بالقلب في هذا المقام . أما الاشتقاق الصغير كضرب
من الضرب فإنها اتفقا في الامور الثلاثة : الحروف والمعنى
والترتيب .

ويحسن هنا التنبية على شيئين (١) أن الكلمة الأكثر
شيوعاً وتداولاً تجعل الأصل المشتق منه . والآخرى الأقل
شيوعاً تجعل مشتقاً : فمن ثمة كان الجذب هو الأصل وجيد
هو الفرع المشتق : لان جذب دائر على ألسنتهم أكثر من
جيد (٢) مهما كان معنى جذب وجيد واحداً فلا بد
أن يكون في أحدهما شيء من المعنى لم يلاحظ في الآخر كأن
يكون الجذب في أحدهما أشد من الآخر أو مستعملاً في حالة
دون حالة . ولعل قولهم في التعريف « أن يكون بين اللفظين
تناسب في المعنى » دون « اتحاد في المعنى » مما يشير الى ذلك .
ويتضح هذا أيضاً فيما نذكره من أمثلة القلب :
« الشوب » الخلط . شاب اللبن بالماء خلطه به . فاذا

قَدِّمَتِ الواو على الشين وقلت « وَشَبْ » ثم جمعتها صارت
 « أَوْشَابٌ » وهم الاخلاط من الناس . واذا قلت « وَبَشْ »
 وجمعتها صارت « أَوْبَاشٌ » وكان معناها ايضاً اخلاط الناس .
 وَأَوْبَشَتِ الارضُ أَنْبَتَتْ واختلط نباتها . واذا قلت « بَوْشٌ »
 مقلوب ما تقدم - كان معناها القوم المختلطين من قبائل
 شتي . والبوش ايضاً طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع
 ويغسل في زَبِيلٍ ويجعل في جِرَّةٍ وَيُطَيَّنُ ويجعل في التنور
 وقد سمي بذلك لما فيه من الاختلاط . وتركتهم هوشاً بوشاً
 مختلطين . وبوشوا تبويشوا اختلطوا .

« خَرَشَبٌ » عمله اذا لم يحكمه : فاذا قَدِّمَتِ الشين على
 الباء وقلت « خَشْرَبٌ » عمله كان معناه ايضاً انه لم يحكم العمل
 « طَفَا » فوق الماء علا عليه . وَالْفُهُ وَاو . فاذا قَدِّمَتِ
 على الفاء صارت طاف . فَطَافَ مقلوب طفا . ومعناها
 متناسب متقارب . وذلك لان من طفا على وجه الماء قلما
 يثبت في موضع . وانما هو طائف متنقل على سطحه . ومنه

« الطوف » وهو قَرَبٌ تُنْفَخُ ويشدُّ بعضها الى بعض ثم تُرَكَّبُ
ويُحْمَلُ عليها في البحر . فالطوف المذكور من طاف لكنه
ملاحظ فيه معنى طفا . والطائف (البلدة المعروفة) اسم فاعل
من طاف . سميت بذلك لانها - فيما زعموا - طفت على الماء
في زمن الطوفان . فانظر كيف جعلوا الطوف والطفو واحداً
« الساعة » الجزء من الزمان . والفه ياءٌ لانه من ساع
الماء يسيع جرى . وناقاة مسياع تذهب في المرعى . ولما كان
الجزء من الزمن ينقضي ولا يستقرُّ سُمِّيَ ساعة . أو أنَّ الف
الساعة واو : ساعَتِ الابل تسوع تخَلَّتْ بلا راع . ويقال فلان
ضائع سائع . فاصل ساعة اِذْنُ سوعة . فاذا قدمت العين
على الواو وقلت « سعوة » صحت وبقيت الكلمة بمعنى الساعة
المعروفة .

« حَفَّ » الفرس او الطائر حفيفاً سَمِعَ له صوت عند
ركضه او طيرانه . وحفَّ الشجر كان لاغصانه وأوراقه
حفيف اي صوت . وحفَّت الحية كان لجلدها حفيف اي

صوت عند مشيها . فاذا قلبت الكلمة وقلت فحَّت الحية
تفح فحيجاً أردت أن صوتها كان من فمها لا من جلدها . فالفحيج
مقلوب الحفيف ومعانيهما متقاربة متناسبة

الابدال

ويسمى الاشتقاق الاكبر ايضاً . وهو ان يكون
بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو نعق ونهق . المعنى
متقارب : اذ هو في كل منهما الصوت المكروه الممقوت .
وايس بينهما تناسب في اللفظ لان في كل من الكلمتين حرفاً
لا يوجد نظيره في الكلمة الاخرى . غير ان الحرفين اللذين
اختلفا فيهما اعني العين والهاء - متناسبان في المخرج . فان
مخرجهما الحلق . ولذلك سمي هذا الضرب اشتقاقاً اكبر اي
أبعد عن الاشتقاق الصغير من اخيهما الثالث المسمى بالكبير
وقد يصعب في نعق ونهق أن يعرف أيهما الاصل المشتق

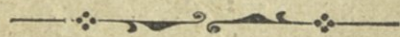
منه وأيهما الفرع المشتق . ومثلهما في ذلك قدح وقدغ .
 وقدح وفضخ . وأنّ وحن . وثلم وثلب . وقصّ الشيء وقسه
 طلبه وتبع أثره . وما زال راتباً او راتباً أي مقيماً . ما به من
 « الطعم » او « الطعب » شيء أي ما به شيء من اللذة والطيب .
 وما ذقت « لواقا » و « لواكا » أي شيئاً . وهمهم وحمهم وغمهم .
 وطنطن ودندن . وكل هذا مما يدخل في الابدال او ما يسمونه
 الاشتقاق الاكبر لانطباق تعريفه عليه

لكن علماء الاشتقاق ان وقفوا في متناولات « الاشتقاق
 الاكبر » ومفهومه عند هذا الحد اي حد تناسب اللفظين في
 المخرج — فان علماء اللغة او المدققين منهم لم يقفوا عنده بل
 توسعوا في تعريف « الابدال » ومفهومه الى أبعد من هذا .
 وجعلوه بحيث يتناول ابدال حرف من حرف آخر مطلقاً : وافقه
 في المخرج كما في الامثلة السابقة . ولم يوافق فيه بشرط حصول
 التناسب المعنوي بين اللفظين . فمن الابدال او الاشتقاق الابدالي
 عند اصحاب هذا الرأي — قولهم سمعت صريراً بالبكرة وصرير
 الباب والقلم : لا تناسب بين الفاء والراء . « الحرق » معروف
 و « الحرب » كل ثقب مستدير . و « الحرت » ثقب الاذن

وغيرها ولا تناسب بين القاف والباء والتاء . هديل الحمام وهدير
 البعير صوتيهما . ولا تناسب بين اللام والراء . وجمجمة وشهمة
 متناسبان في المعنى لا المخرج .

وقد يبدل الحرف الثاني من الفعل المضاعف - حرفاً
 آخر مثل : كدّ كدح . رصّ رصف . زحّ زحل . رجّ
 رجف . ضمّ ضمّد . ردّ ردع . وتبدل ألف الفعل الناقص حرفاً آخر
 نحو : رسار سب . ساسمق . زجا زجر . هذى هذر . محامق .
 احتقى احتفل . دهدي الحجر ددهه . (أي دحرجه)
 أسأ أسف . حصا حصب . بهاء بهجة . الحجيّ الحجر (بمعنى
 العقل) : رخاء رخص . هباء هباب (وهو الغبار ودقاق
 التراب الساطعة) . ويجوّل المضاعف الى ناقص . ربّ رباً .
 طمّ طمى . تمطّط تمطّى . تقضّض البازي (إذا انقضّ)
 تقضّى . تظنّن تظنّى (إذا ظنّ)

ويجوّل ايضاً الى أجوف : ضره ضاره . كع عن لقيه
 وكاع إذا خام ونكص . في نظائر ذلك من ضروب الاشتقاق
 والتوالد التي نثوبها اللغة وتكثر مادتها . وتوسع دائرتها



النحت

النحت ايضاً ضرب من ضروب الاشتقاق . ومعناه في
 اصل اللغة البري : يقال نحت الخشب والعود إذا بزاه وهذب
 سطوحه . ومثله في الحجارة والجبال قال تعالى « أتعبدون ما
 نحتون » « ونحتون من الجبال بيوتاً » . والنحت في الاصطلاح
 أن تعمد الى كلمتين أو جملة فتزعم من مجموع حروف كلماتها -
 كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها . ولما
 كان هذا النزاع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمي نحتاً .
 وهو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل . لان
 الاشتقاق ان تزعم كلمة من كلمة . والنحت ان تزعم كلمة من
 كلمتين أو أكثر . وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة .

وانتحت مما يعرفه اهل اللغة انفسهم وجرّوا عليه في
 كلامهم . وفي المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك
 ويمكن ارجاع النحت الى اربعة اقسام نحت « فعلي »
 و « وصفي » و « اسمي » و « نسبي » فالفعلي ان تحت من الجملة

فعلاً يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها : مثل قولهم «بأباً»
 إذا قال «بأبي أنت» والهمزة الأخيرة في «بأباً منخوطة من
 «أنت» و«سبجل» و«حوقل» من سبحان الله ولا حول ولا
 قوة الا بالله . و«دمعز» و«سمعل» من آدام الله عزك .
 والسلام عليكم . وفذلك العدد اي قال فذلك العدد قد بلغ
 كذا . ولا شاه من صيره لا شيء . ومنه قوله تعالى «واذا
 القبور بعثرت» فان «بعثرت» منخوطة من «بعث وأثير» اي بعث
 ما فيها وأثير ترابها .

و«النتحت الوصفي» ان تحت من كلمتين كلمة واحدة
 تدل على صفة بمعناها او بأشدها : نحو «ضبطر» للرجل الشديد
 منخوت من «ضبط وضبر» وفي ضبر معنى الشدة والصلابة :
 جمل مضبور مكتنز اللحم . ورجل ذو ضبارة مجتمع الخلق
 موثقه . ونحو «الصلدم» الشديد الحافر . منخوت من «الصلد
 والصدم» . ومثل «صهصاق» الشديد من الاصوات من «صهل
 وصلق» وكلاهما بمعنى صوت

و«النتحت الاسمي» ان تحت من كلمتين اسماً مثل جلود
 من «جلد وجمد» . وقد يتأتى في هذا النوع أن تكون حروف

المنحوت عين حروف المنحوت منه ويكون أثر النحت في الصيغة
والهيئة لا في المادة : مثل « شَقَّحَطَبَ » على وزن سفرجل .
وهو اسم للكبش الذي له قرنان كل منهما يحكي « شَقَّ حَطَبَ » .
ومثل « حَبْرُ » اسم للبرد بفتح الراء . أصله حَبُّ قُرٍّ كما يقولون
حب الغمام على هيئة التركيب الاضافي . والقُرُّ بضم القاف بمعنى
البرد بسكون الراء . ويقال هذا الشيء ابرد من « حَبْرُ »
يعنون من البرد بفتح الراء .

و « النحت النسبي » أن تنسب شيئاً او شخصاً الى بلدي
« طبرستان و خوارزم » مثلاً فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على
صيغة اسم المنسوب : فتقول « طبرخزي » اي منسوب الى المدينتين
كليهما . ويقولون في النسبة الى « الشافعي و أبي حنيفة »
« شفعتي » و الى « ابي حنيفة و المعتزلة » « حنفتي » . ولا تحمل
مسئولية حسن مثل هذه الكلمات وصحة استعمالها و اعتبارها من
الفصيح و انما أردت ان استدل بالجملة على أن قوة الاشتقاق في
لغتنا العربية قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغة و تكاثر
نتاجها . و المرأة الناطق الولود قبلما يخلو ان يكون في اولادها السمع
البيغض . فلا عجب اذا وجد مثل حنفتي و شفعتي في ذراري

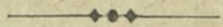
اللغة العربية الكريمة .

وقد أعملت الفكر مرة في كثير من الكلمات الرباعية
والخماسية فوجدت أنه يمكن إرجاع معظمها إلى كلمتين
ثلاثيتين بسهولة . ولا حظت أن تكون تلك الكلمات في لغة العرب
إنما كان بواسطة طريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق
النحطي : فمثل « دحرج » منحوت من « دحره فجرى » ومثل
« هرول » من « هرب وولى » و « خرمش » الكتاب أفسده
من « خرم وشوه » أو من « خرم وشرم » ومثل « دعثره » إذا
صرعه من « دعه فعثر » . و « بَحَثَرْتُ » الدجاجة « بَحَثْتُ وَأَثَارْتُ »
التراب لتلتقط الحب وهكذا .

وقد ظهر لك مما تقدم أن الاشتقاق قوة لنمو اللغة وتكاثر
كلماتها وتشعب صيغها . لكنه سماعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص
معينين . وليس من مقدورنا نحن أن نعمل تلك القوة الآن
في اللغة . فنشتق من مصادرها ونحوّل موادها اشتقاقاً وتحويلاً
لم يعرفها أهل اللغة أنفسهم . اللهم إلا إذا طرأ على عمرانا

وعقولنا وعلومنا التي نسميها نقلية ما يفكها من قيودها القديمة
ويجاوز بها سنن^{ها} المتبعة . وليس هذا الدور البعيد مما يحسن ان
نتكلم عنه الآن

إذا لم يكن من حقنا ان نستعمل تلك القوة قوة الاشتقاق
ونتوصل بها الى توسيع نطاق لغتنا فهل قضي علينا هذا القضاء
نفسه بالنسبة الي قوة « التعريب » بحيث لا يسوغ لنا أن نأخذ
كلمات أعجمية من اللغات الاخرى . ونجنسها بجنس لغتنا . ونودعها
في جملنا وتراكيننا كما كان يفعل أهل اللغة أنفسهم في عصورهم
الاولى . فقد كانوا يقتبسون من لغات الاعاجم ما شاؤا وشاءت
حاجتهم . ثم لا يأنفون من استعمال هذه الكلمات المعربة . ولا
يخرج كلامهم بها عن حد الفصاحة . ولا يفقد رونق عروبه
وتأثير بلاغته ؟



التعريب

ليس التعريب في اللغة العربية عملاً بدعاً . وليس وجود
اللفظ المعرب في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في
جسم الانسان من حيث يضرُّ بقاءه وتجب إزالته . والمعرب -
ويسمى ايضاً دخيلاً - هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعه
لمعانٍ في غير لغتها . وقال السيد في حواشيه « هو لفظ وضعه
غير العرب لمعنى ثم استعملته العرب بناءً على ذلك الوضع »
والتعريب تحويل طبيعي او تغيير تدريجي يطرأ على اللغة
ويجري بها في ناموس مطرد . وقد خضعت له اللغة العربية
بمجموعها ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعدها الآن .
وأعني بذلك أن اللغة العربية بمجموعها معرّبة ومحوّلة عن لغة
أعجمية كما يتحول اليها اليوم كثير من الكلمات الاعجمية . وهذا
التحويل حصل لأول تكوّن اللغة تدريجياً . لكنّه وصل الينا بجملمته
فحسبناه حصل دفعة واحدة وأن الله أوجده على لسان رجل

او قبيلة كذلك: بأن أنطقها به من حيث لا تشبر. أو أوحى
اليها به. كذا كانوا يظنون. وباطل ما كانوا يظنون.

وأكبر حجة لهؤلاء على أن اللغة تلتقت بطريق التوقيف -

قوله تعالى «وعلم آدم الاسماء كلها» اي انه تعالى علم آدم أبا

البشر جميع الالفاظ الدالة على الاشياء. فتكون اللغة اذن ما

أنزله الله إنزالاً على لسان أول ناطق بها من غير أن يكون له

صنع في وضعها. ولا إرادة في توليدها. ولكن المحققين على

خلاف هذا القول: فانهم ذهبوا الى أن المراد بالاسماء في الآية

المذكورة هو المسميات أي المعاني والاشياء التي تدل عليها

الاسماء. لا الاسماء نفسها. وذلك لامور:

(١) انه تعالى قال بعد ذلك «ثم عرضهم على الملائكة»

اي عرض تعالى المعلومات التي علمها آدم - على الملائكة. ولا

ريب أن المعلوم الذي يصح فيه العرض انما هو الاشياء التي

تشاهد وهي معاني الاسماء. لا الاسماء نفسها التي تسمع. يقال

عرض الجارية على البيع وعرض الجندي إذا أمرهم عليه. ونظر

ما حالهم . ولا يقال عرض الالفاظ عليه . وانما يقال تلاها عليه وقرأها .

(٢) ان الضمير المنصوب في عرضهم يدل على أن من

جملة المعروض أشخاصاً والالقال « ثم عرضها » . والاشخاص

معاني لا الالفاظ . والمراد بعرض الاشخاص على الملائكة - مع أنهم

لم يوجدوا بعد - أنه عرضت على الملائكة مثل أوئك الاشخاص

واشكالهم . لا ذواتهم واعيانهم .

(٣) لا مزية لآدم على الملائكة في أن يعرف اسماء

الاشياء . وانما المزية والمنقبة في أن يعرف مسمياتها ومعانيها

فان ذلك مما يحدث في نفسه فضل إيمان بالله . وزيادة ثقة

بعنايته وقدرته .

(٤) تعليم آدم اسم الشيء غير معقول ولا متصور :

لأن للشيء الواحد أسماء متعددة بتعدد اللغات . بل كثيراً

ما كان له في اللغة الواحدة طائفة من الاسماء : كالسيف مثلاً

فان له في اللغة العربية ألف اسم . واذا فرضنا أن له في

سائر اللغات - الحية والميتة والتي ستمحي - أربعة آلاف

اسم - يكون آدم تعلم للسيف وحده خمسة آلاف اسم . ومهر

في سردها . وهو عبث نجلُ مقام الالهية والنبوة عنه . وانما
 المعقول أن يكون تعالى أرى آدم مثال السيف بحيث يفهم
 كيف اصطنع . وما الغرض من صنعه مثلاً . وهذا هو العلم
 النافع كما لا يخفى .

ومحصل القول ان اللغة العربية وسائر اللغات اهتدى
 ايها الانسان بنابل من فطرته . ثم اخذت نبي وتكاثر على اسانه
 وتوسع دائرتها بينه وبين المطيفين به من أهله وإخوانه . كما أن
 تعريب الكلمات الاعجمية في اللغة بمثابة حركة الاستمرار اي
 انه عمل قام به واضعوا اللغة انفسهم مضطرين اليه بسائق طبيعي
 من اول عهد الوضع . ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه . وليس
 هو مما حدث فينا أو اصطلمنا عليه ولم يعرّفه الواضعون الاولون .
 ويظهر هذا جلياً إذا طبقناه على الامة نفسها وكيفية نشوئها
 ودخول الافراد في جنسيتها . ولنمهد له أولاً بمثال آخر :

في الجسم الانساني قوة طبيعية اودعها فيه خالقه . وهي
 تمثل وتحوّل دقائق المواد الغذائية الى دقائق حية يتكون منها

مجموع جسم الانسان الحي . ويحصل هذا التحوُّل في جميع أدوار حياة ذلك الجسم . فتمثيل دقيقة من دقائق جسم الشاب مثلاً ناشيء عن ناموس اصلي مشتم عليه أصل العناصر التي تكوّن منها مجموع جسم ذلك الشاب عند أول نشأته وتخلقه في صلب ابيه أو رحم امه . ثم ان هذا الناموس يلزم الانسان في جميع أدوار وجوده ويؤثر تأثيره فيه ما دام حياً .



تكون الجنس العربي

ونشوء لغته

ولناخذ الآن في بيان كيفية تكوّن الجنس العربي ونشوء لغته فنقول : اصطلح علماء اللغات على أن يسموا المتكلمين باللغة العربية واخواتها - « الشعوب السامية » او « العائلة السامية » ويريدون بها طائفة من أبناء نوح عليه السلام تبوّأت البلاد الواقعة في غربي آسيا . واتخذتها مقراً لها . وقد انشعبت هذه

العائلة الى ثلاثة أقسام كبرى «آراميين» و«عبرانيين»
 و«عرب» . واختلف العلماء في تعيين مساكنهم الاصلية .
 والشائع بينهم أن الآراميين كانوا يسكنون في شمالي تلك
 البلاد . والعرب في جنوبها . والعبرانيين ما بين ذلك .

هذه الاقسام او الشعوب الثلاثة هي الاصول الكبرى
 للعائلة السامية . وينطوي تحت تلك الاصول الفروع التي
 تنشعب منها : فالاشوريون والسريانيون والكلدانيون انشعبوا
 من الآراميين . والفينيقيون من العبرانيين . والحبش من العرب .
 وقد يكون بين شعبين من هذه الشعوب من التقارب والتجانس
 ما لا يكون بين أحدهما وسائر الشعوب الاخرى : كالعرب والحبش .
 فانهما متقاربان جداً بدليل تقارب لغتيهما القديمتين . حتى
 ظنَّ أن قد مر عليهما زمن كانتا فيه كلغة واحدة .

ولما انشعبت العائلة السامية بعد توحيدها - الى ثلاث
 شعب أو شعوب . انشعبت لغتها أيضاً الى شعب ثلاث تبعاً
 للانشعب الجنسي . آرامية وعبرانية وعربية . ثم بدأ ناموس

« تنازع البقاء » واخوه « بقاء الاصلح » يعملان عملهما في
 تلك الشعوب السامية ولغاتها : فكانت الغلبة أولاً للآراميين
 فانشأوا الدول . وفتحوا الممالك . وبلغوا من الحضارة والمدنية شأناً
 لا تزال آثاره باقية فيما بين النهرين إلى اليوم . ونعني بذلك
 مملكتي بابل وأشور الشهيرتين .

وفي أثناء ذلك ظهر الجنس العبراني : فجاب الفينيقيون
 الاقطار . وسلكوا أجواز البحار . وعلموا الناس الاسفار . وظهر
 الاسرائيليون في مصر وقام فيهم موسى صاحب الشريعة اليهودية
 صلوات الله عليه .

وفي تلك الاثناء ظهرت للعرب دولة في اليمن من بني
 قحطان وهي مملكة سبأ ومأرب . ثم أصاب الساميين خمول
 وانحطاط عدة قرون حتى نهض العرب نهضتهم المقدسة الاخيرة
 فملأوا الارض فتحاً ودينياً وعدلاً ولغةً وعلماً وحضارةً واداباً .
 وأخذت بقايا الجنس الآرامي واليهودي تتضاءل
 أمام ذلك الجنس العربي النشيط . ولغتهما أمام لغته حتى حلَّ
 جنس العرب ولغتهم محل ذينك الجنس ولغتهما . وتمت

لها السيادة عليهما .

واللغة العربية شعبة أصلية من شعب اللغة السامية . وقد ورت الفرع عن أصله أو البنت عن أمها معظم خصائصها . وعامة مميزاتها . كما كان شأن الجنس العربي المنشعب عن الاصل السامي .

والمشهور أن أصل الجنس العربي « قحطان » وابنه « يعرب » . وان منشأ ذلك الجنس هو شبه جزيرة العرب أو الجهة الجنوبية منها أعني بلاد اليمن حيث كان يقطن قحطان ويعرب . وبديهي أن قحطان ويعرب وقومهما كانوا يتكلمون باللغة السامية . لغة العائلة التي ينتمون إليها . وقد انحدروا من اصلاها حتى اذا استقر بهم المقام في اليمن . وامتزجوا بسكانها الذين يغلب على الظن انهم كانوا من أم حامية تختلف لغة وشكلاً عن قحطان وقومه — اقتبسوا كثيراً من كلمات هؤلاء السكان . واصطلاحات لغتهم . ثم اثر فيهم ذلك الوسط او المحيط الجديد ومازهم عن اصلهم السامي . وغير من نطقهم . ولهجة لسانهم . على مدى الايام . وتعاقب العصور .

ويذهب العرب الى أن تأثير الوسط في نطق يعرب ولهجته

كان أشدَّ فيه منه في أبيه : فأعرب الابن قبل الأب . وأبان عما
 في نفسه . بعبارة ولهجة مخالفتين لعبارة ولهجة اللغة السامية الأصلية مما
 زعم العرب معه أن لهجة يعرب الجديدة أصح وأفصح من
 اللهجة القديمة . ولذلك سموه : « يعرب » فإن الأعراب في لغتهم
 الإيبانية والإفصاح . وقد أصبحت لغة القحطانيين السامية
 الأصل بما تخللها من لغة جيرانهم الحاميين في اليمن أو الزنوج في
 سواحل الحبشة وغيرهم - لغة جديدة في صيغها وهبئتها
 وليست جديدة في أصولها وموادها . فان موادها وأصولها هي
 مواد وأصول لغتها القديمة أعني اللغة السامية . وكان نموُّ اللغة
 القحطانية الجديدة بطريق الاشتقاق في أخصِّ الأحوال
 وبطريق اقتباس الكلمات الأعجمية أعني التعريب في الأعمِّ الأغلِب .
 وكما أن قحطان وقومه لم يوجدوا من العدم وإنما انشعروا من
 ذلك الأصل السامي الأعجمي كذلك لغتهم الجديدة لم تنزل على
 ألسنتهم من السماء دفعة واحدة وإنما احتملوها أو احتملوا
 بذورها من أمِّها السامية . ثم جعلت البنت تباعد عن أمِّها بما
 كان يعقورها من العوارض المذكورة حتى أصبحت كأنها
 ليست من سلالتها ولا من جنسها . ولو كانت اللغة السامية من

اللغات الحية لعهدنا هذا لما عددناها الأ من اللغات الاعجمية
 الاجنبية عن لغتنا العربية . وليس ذلك الانشعاب والتحول من
 خصائص اللغة العربية وانما هو طبيعي في اللغات كافة . وما
 نحن اليوم نقول ان اللغة اللاتينية غير اللغات الطليانية والفرنساوية
 والاسبانية مع ان اللغة اللاتينية أم تلك اللغات الثلاث
 ومرجع أنسابها . ومنبت أدواحها .

وقد اعتاد العرب - ولا نبرى غيرهم - أن ينسبوا كل
 عمل عظيم الى رجل مشهور فيهم . فيذهبوا الى أنه ابن بجدة
 ذلك العمل . وأنه الذي أوجده من العدم . وإن كان العمل في نفسه
 نتيجة مزاولة أجيال متوالية . وكان مما ذهبوا اليه في شأن لغتهم
 العربية أنها من مبتكرات جدهم يعرب بن قحطان ومن أوضاعه
 ولذلك سموه يعرب : يريدون أنه أول من أعرب في لغتهم وأفصح
 عنها كما مرّت الاشارة إليه آنفاً .

ولو انصفوا لفسروا « يعرب » في هذا المقام - بقوم يعرب
 أو قبيلته التي كانت تعيش حيناً فحيناً من الدهر . ويحدث تحول
 اللغة وتغير أساليبها بألسنتها رويداً رويداً . وكثيراً ما سميت
 القبيلة باسم جدها - لا يعرب نفسه : إذ يبعد أن تحول اللغة السامية

إلى لغة عربية على لسان فرد من أفراد الساميين مهما طبأت
طينته . وطالت حياته . وانفسح مجالها لسوابق هممه . وخوارق
مواهبه . ومحصّل القول أنّ المسمى يعرب (قبيلة او شخصاً) هو
الذي غرس فسيلة اللغة العربية في اليمن . ومنه انبت الشعب
العربي الذي كان مبدأ ظهوره في ذلك القطر اليمني . ولذلك
يكني العرب جدّهم يعرب « أباً اليمن » باعتباره شخصاً لا قبيلة .
وبقيت العربية منحصرة في سكان اليمن حتى طرأت
عليهم حادثة مأرب الشهيرة فتفرقوا في أنحاء جزيرة العرب .
وكان منهم قبيلة جرهم الذين سكنوا الحجاز . ونزل عليهم اسماعيل
العبراني صلوات الله عليه . فصاهرهم ونشأ من تلك المصاهرة
قبيلة عدنان ثم مضر ثم قريش . وبنشوء هذه القبيلة نشأت لغتها
القرشبية أو المضرية التي هي بمثابة الاخت الصغرى للغة الحميرية
أو الفرع منها . وقد نما هذا الفرع وطال وامتدت شعبه حتى
تغلّب على أصله ومحاه من لوخ الوجود . كما فعل الأصل نفسه بأصله
اعني اللغة السامية . ثم إن البيئة (الوسط) أو القوة التي قلنا
انفأ إنها أثرت في نفس قحطان وقومه وبدلت من لسانهم ولغتهم
وحولتها عن أصلها الاعجمي - هي نفسها التي كانت توثر في

نفوس أنسأهم العرب قحطانيين وعدنانيين : فكان هوألاء يتلقفون
الكلمات الاعمجية التي يسمعونها كلمة فكلمة . ويحوأونها الى
لغتهم العربية حينأ فحينأ . ويمثأونها اليها كما تمثل قوة الحياة
في جسم الانسان دقائق العناصر وجواهرها الميتة الى دقائق
حية . لها خصائص الاحياء . كما ذكرناه في المثال الذي مهأنا
به اولأ .

نمو اللغأ بالدخيل

في جسم الانسان قوتا تحليل وتركيب : تندثر منه دقائق
وتحلأ وتتلاشى . ويخلفها بواسطة الغذاء دقائق أأرى تقوم
مقامها في وظيفتها . واذا لم تزد الدقائق الجديدة على الدقائق
المندثرة بقى الجسم على حاله وحجمه . واذا زادت كما في الاطفال
كبر الجسم ونما وطال .

ومثل ذلك يقال في اللغة : تندثر منها أفاظ غريبة
وتموت كلمات حوشية : كالحوجم والزمخر والشمشق والسجلاط

والدجر والحدج والناطس والتمك والتامورة والقتد والفرسك .
ويختلفها غيرها من الكلمات الدخيلة الاعجمية كالورد (للعوجم)
والناي (للزخرف) والمردكوش (للمشوق) والياسمين (للسجلاط)
والموبيا (للدجر) والبازنجان (للحدج) والجاسوس (للسجلاط)
والاترج (للمتك) والابريق (للتامورة) والخيار (للقند)
والخوخ (للفرسك) . فاذا كثرت تلك الكلمات الدخيلة نمت
اللغة . وامتدت فروعها . واتسعت دائرة التخاطب بها .
وإلا بقيت واقفة أو تقاصت وماتت كما تموت الاجسام
التي تسوء تغذيتها . ويزيد فيها التحليل على التركيب . وقد
كان معجم اللغة الانكليزية من عهد غير بعيد يتضمن عشرين
ألف كلمة تقريبا . وهو الآن يناهز مائة الف كلمة . وفي هذه
الزيادة كثير من الكلمات الغربية وقد دخلت على اللغة
الانكليزية من اللغات الأخرى التي امتزجت انكلترا بالمتكلمين
بها . واستعمرت بلادهم . ولهذا ترى الانكليزي يكتبون على معاجمهم
اللغوية انها «مجموع لغات» يشيرون الى أن المعجم لم يتضمن

كلمات من لغتهم الانكليزية وحدها وإنما حُشِر فيه كلمات
 من لغات متعددة . فهو بهذه المثابة مجموع لغات لا معجم لغة .
 توسيع نطاق اللغة على هذه الصورة أمرٌ يُعنى به عقلاء الامم
 وقادتها وفلاسفتها كما يعنون بتسمية أممهم نفسها . وتكثير
 افرادها . بسبب نشرفن الطب ومباديء علم الصحة (الهيجين)
 تارة - وبالتجنس بالجنسية وإن شئت قلت بالتغلب والاستعمار
 تارة أخرى .

وانظر كيف أن حكومة اميركا تسهل التجنس في بلادها
 وتفتح أبوابه لطالبيه حتى نمت الامة الاميركية وتكاثرت .
 فكم كان عددها منذ قرن وكم هو اليوم ؟ وهكذا الامم الراقية
 تمهد أمام بقية الامم سبيل التجنس بجنسيتها . وتوسل الى ذلك
 بمختلف الوسائل : حتى ان من وُلِد له ولد في سفينة
 إنكليزية كان لأبيه أن يعتبره لمجرد ذلك متجنساً بالجنسية
 الانكليزية ثم لا يجد من تقاليد انكلترا الا المصادقة على ذلك .
 وما يُدرينا أن تكون حكمة حل استرقاق أسرى الحروب في

الدين الاسلامي هي تجنيس اولئك الأرقاء بمجنسية المسلمين؟ فيكون
الاسترقاق ضرباً من ضروب التجنيس . ووسيلة من وسائل تنمية
الامة . وتكثير سوادها . والحاصل أن بين تنمية أفراد الأمة وتنمية
كلمات لغتها مشابهة وتمائلاً . وأن عقلاء الامم وزعماءها حريصون
على هذا حرصهم على ذلك .

أنا اعرف أن الغيور على لغته العربية . الكلف بحفظ
حرمتها . والذود عن حياضها - قلما يعجبه قولي هذا بل ربما عجب
من إقدامي عليه . وعده مخرقة وعقوقاً للغة وإساءة اليها . فهو لا
تعجبه إلا كلماتها الرشيقة . ولا تحلو في ذوقه إلا نغمتها العذبة . لكنه
إذا لاحظ أن اللغة العربية نفسها سلالة أم أعجمية كما شرحناه
انفأ . وأن كلمات «الله» و«الرحمن» و«صلاة» مشتقات من أصل
سرياني او عبراني . وأن «بسم الله الرحمن الرحيم» و«شمالاً
حارار حيام» من معدن واحد . وأن «حكيم» و«حاخام» أخوان .
وأن «جهنم» محوطة عن «جى هنوم» (وادٍ خارج بيت المقدس
كانت تلقى فيه القمامات) . وأن سين العربية شين في الاعجمية :

فسلام سلام . ولسان لسان . وإِسْم إِسْم . ومسك مشك . ودست
 دشت . واسماعيل اشماعيل . ونيسابور نيشابور . وسعانين شعانين -
 من لاحظ كل هذا خفف من عجمه . وسكن من سورة غضبه
 وعرف أن التعريب في اللغة قوة كقوة التمثيل في الجسم المحي
 تجب العناية بها . ولا يحسن التفريط فيها .

وأخبرني بعضهم أن اليهودي يقول في تحيته لأخيه « شالوم
 عليخيم » اي « سلام عليكم » فيجيبه الآخر بقوله « عليخيم شالوم »
 ✕ وليس التعريب مما يشوه اللغة . أو يحط من قدرها . ومنزلتها
 بين اللغات الأخرى . بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك .
 اعتبره في اللغة التركية التي لا تستكف أن تضم إليها الكلمات
 الكثيرة من اللغات الأخرى . وكيف أصبحت بسبب ذلك
 تضارع أشهر اللغات الأخرى في غزارة مادتها . وعذوبة
 تراكيبها . واتساع دائرة التخاطب بها . وقد قال كمال بك كاتب
 الترك الشهير : إن مثل لغتنا وسائر اللغات كرجل دخل
 حديقة . فجعل يقطف من أزهارها ما يروقه . ويحلو في عينه

حتى تألف له من ذلك باقة : كل زهرة من زهراتها
حسن جميل .

واعلمك تنكر بقاء اللغة العربية على عذوبتها ورشاققتها إذا
كثر فيها الدخيل من اللغات الاعجمية . ونقول من أين لتلك
اللغات أن يكون فيها الفاظ عذبة . وكلمات رشيقة . مثل ما في لغتنا
العربية . ثم تستشهد على ذلك بقولك ورد . ناي . ياسمين .
لوريا . ابريق . مسك . الماس . يم . مشكاة . أوج . لوز .
نرجس . سندس . لجام . ترعة . ميزاب . دُرِّي . بريد .
صنم . خوخ . الى غير ذلك من الكلمات التي تسيل رقة كما
سال بها كلام باغاء العرب في الجاهلية والاسلام . ولم يخل منها
كلام رب العالمين خالق اللغات والمتكلمين بها .

وإذا قلت لك إن مرادف الورد هو الحوجم . والناى
الزمنجر . والياسمين السجلاط . واللويا الدجر . والابريق
التامورة . والخوخ الفرسك - تقطع على الكلام وترجوني ان
لا اخدش سمعك بالرطانة الاعجمية . ونقول انظر الى قدر الفرق
بين الورد والحوجم . والناى والزمنجر . والياسمين والسجلاط .
واللوياء والدجر . والابريق والتامورة . والخوخ والفرسك

وكيف أن الاوليآت خفيفة على السمع . ترشفها النفس كما ترشف
 الصهباء ؟ وكيف أن الاخيرات ثقيلة حوشية . تنبو عنها الاذن
 ويحبها الذوق . نقول ذلك وأنت تحسب أن الورد . والناي .
 والياسمين . واللوبيا . ولا بريق . والخوخ - عريبات . وان
 الحوحم . والزنجير . والسجلاط . والدجر . والتامورة . والفرسك
 أعجيبات حتى إذا عرفت أن الامر على العكس أدركك العجب
 وتساءلت عن السبب

سائل الحكومة المصرية لماذا تستعمل الاجانب في بعض
 وظائفها مع وجود وطنيين ربما صلحوا لتلك الوظائف ؟ - تجيبك
 بأن الاجنبي أصلح لهذه الوظائف . أو أن لي في توظيفه غرضاً
 لست ملزماً بلافصاح عنه . ثم نقول الحكومة : يكفيك أيها
 الغيور على بلادك ان استعمال بعض الاجانب في وظائفها لا
 يسخها . ولا يجعل الحكومة أجنبية . ولا يضر الوطنيين بل ربما
 كان امتزاج اوائك الموظفين الاجانب بهم مفيداً لهم . وعاملاً
 على ترقيةهم وتدريبهم . وبمثل ذلك تعتذر الحكومة العثمانية
 وسائر الدول التي تستخدم في مصالحتها رجالاً من غير أبنائها .
 وكذلك كان الشأن في الدولتين الاموية والعباسية . حتى إن أبا

موسى الاشعري نفسه اعتذر بمثل ذلك لعمر بن الخطاب رضي
الله عنهما حين عاتبه على توظيف كاتب ذمي لبيت مال البصرة
وهكذا يعتذر أئمة اللغة وبلغاؤها وكتابها وشعراؤها عن
استعمال الكلمات الاعجمية في منظومهم ومنشورهم وإهمال الكلمات
العربية التي كان يمكن أن تخلف تلك أحيانا .

وظيفة التعريب

استعمال الكلمات الاعجمية كاستعمال العمال الاعاجم في أن
كلاً منهما قد نقضيه المصلحة . وتدعو إليه الاحوال . ولكن
الرأي في استعمال اولئك العمال الاعاجم من خصائص فرد واحد في
الامة وهو ملكها . أو أفراد معدودين منها فيما إذا كانت دستورية .
ولمن يكون الرأي في استعمال الكلمات الاعجمية ؟ ومن هو
الذي يصح له أن يقوم بوظيفة التعريب ؟
قولهم في تعريف التعريب - أن نتكلم العرب بالكلمة
الاعجمية - يدل على أنه لا يشترط في التعريب أن يحصل على
لسان طبقة خاصة من العرب أو رجال معينين منهم . بل هو

أمر شائع بينهم . يتناولهُ كل فرد فيهم . ولو قلت إن التعريب
 من وظائف عامة العرب وذوي التجارات والصنائع منهم -
 لا خاصتهم وذوي الشأن والنباهة فيهم - لما كنت مجازفاً
 أو مباعداً .

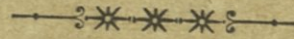
انظر الى الكلمات الاعجمية التي تهال على لغتنا في
 هذه الاعصر المتأخرة تجد معظمها دخل عليها بواسطة التجار
 الذين يعاملون الاعاجم والمستبضعين الذين يجلبون سلعهم
 وفضائعهم من البلاد الاجنبية :

المستبضع الذي يجلب لنا الثوب أو الماعون أو الأداة أو
 الآلة أو آية مادة كانت - هو نفسه الذي يجلب لنا اسمها
 معها : فترى أيدينا تتناول التسميات . وألسنتنا تتداول الاسماء
 الدالة عليها . وبديهي أن ذلك المستبضع لم يكن من حملة
 اللغة العربية . ولا من حفاظها أو نقادها . وإنما هو في غالب الامر
 عامي يحفظ اسم البضاعة كما يسمعه من القوم سيونجية (الوسطاء
 في جلب البضائع من معاملها) أو معامليه الأعاجم . ثم ينقله

الينا ويشيع بيننا بالصيغة التي نطق بها لأول مرة .
 وإذا أُتيح أن يكون لنا مجمع لغوي ينظر في الكلمات
 الدخيلة الأعجمية ويدونها - كان عليه أن يرسل إلى عمال
 سكة الحديد ومديري أشغالها من يستفهم منهم عن اسم كل أداة
 أو آلة أو أي شيء مما يتعلق بالسكك الحديدية وسيرها وخطوطها
 ومستخدميه وعمامة شؤونها ثم يدون كل ذلك ويثبت
 في كتب اللغة كما قد أثبتت سائر كلماتها العربية والمعربة
 المنقولة عن العرب أنفسهم .

وإن لم نرجع في هذه الكلمات الدخيلة الجديدة إلى
 أصحاب الشأن أنفسهم بل رجعنا إلى مواضع الخاصة -
 تعددت الاسماء - واضطرب أمر اللغة - وكانت العاقبة فشلاً .
 وكما نرجع إلى عمال سكة الحديد في تعريف مصطلحاتهم
 نرجع إلى باعة الأقمشة والاثاث والماعون وأدوات الزينة
 والاستصباح والطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون
 الحياة ومرافق المعيشة التي اتسعت دائرتها بيننا في هذه الأزمنة
 بسبب مخالطتنا للأفرنج واقنباسنا الحضارة وأساليب المعيشة

الجديدة عنهم . فنأخذ عن كل قوم الاسماء التي عربوها
وتواطئوا على استعمالها . وشأن التعريب في زمن بداوة اللغة
العربية هو شأنه في هذه الاعصر على ما وصفناه لك من حيث
حصوله على السنة التجار والمستبضعين . لا على السنة الشعراء أو
الخطباء المفوهين . فاصحاب المعلقات مثلاً كانوا يسمعون
خلطاءهم يتكلمون بكلمات اعجمية اتصل معظمها بهم من التجار
الذين انفوا رحلات الشتاء والصيف الى بلاد الروم والفرس
وغيرها . فاستبضعوا المسميات باسمائها . وجلبوها معاً الى جزيرتهم .
ثم استعمل اصحاب المعلقات وسائر البلاغاء تلك الكلمات في كلامهم
من دون تكبير . ومن دون أن يعاب ذلك الكلام فينزل عن
درجة فصاحته و بلاغته



معرّبات القرآن

ولما أنزل القرآن - وهو المعجز - تفرّقت كثيراً من تلك
الكلمات الاعجمية التي أدخلها عامّة العرب مع بضائعهم
وصقلها بلغاؤهم وشعراؤهم بالسنتهم . حتى أصبحت بذلك فصيحة

كسائر فصيح كلامهم . ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته
 ولم تفارقه مزية إعجازه : فكان فيه من الفارسية أباريق .
 وسجّيل . واستبرق . ومن الرومية قسطاس . وصراط . وشيطان .
 وإبليس . ومن الحبشية أرائك . وجبت . وذُرِّي . وكفّان .
 ومن السريانية سرادق . ويم . وطور . وربانيون . ومن الزنجية
 حصب . وسري . ومن العبرانية فوم . ومن التركية القديمة
 غساق . ومن الهندية مشكاة (للكوّة التي لا تنفذ) . ومن
 القبطية هيت لك . وليس هذا كل ما في القرآن من الكلمات
 الاعجمية بل إن فيه كثيراً منها . وقد تتبعها السيوطي فبلغت
 زهاء مئة كلمة . وهانحن ننقل عنه ما لم يسبق لنا ذكره منها
 مجرداً عن الشروح التي علّقها عليها . اللهم إلا ما كان في ذكره
 فائدة : أبا . إبلي . أخذ . أسباط . أسفار . اصري .
 أكواب . إناه . آواه . آواب . آوبي . بعير (في قوله تعالى
 ونزداد كيل بعير . وهو الحمار أو الدابة في اللغة العبرانية)
 بطائنها . ييع . تنور . تبيراً . تحتها (في قوله تعالى فنادها

من تحتها أي بطنها في اللغة النبطية) . جهنم . حِطَّة . حواريون .
 حوبًا . دارَسْت . دينار . راعِنَا . رِيُون . الرحمن (وهو
 عبراني . وأصله الرحمن بالخاء المعجمة . أقول ولم يذكروا الرحيم
ويعد أن لا تكون مثلها وهي أختها) . الرَسَّ . الرقيم . رَمَزَا .
 رَهْوَا . الروم . زنجييل . السجِّل . سَجِين . سفرة . سقر .
 سجدًا . سكرًا (هو الخل) . سلسبيل . سندس . سنًا . سيدها
 (في قوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب أي زوجها في اللغة
 القبطية) . سينين . سيناء . شَطْر . شهر . صُرْهَنَّ (قَطَّعْنَنِّي فِي
 اللغة الرومية أو النبطية) صلوات (هي الكنائس) طه . طاغوت .
 طَفِقَا . طُوبَى . طُوى . عِبَدَتْ (قتل في العبرانية أو
 السريانية) العرم . غيظ (نقص) . فردوس . قراطيس . قسط .
 قسورة . قطنًا . قنطار . قيوم . كافور . كفرَّ عَنَا . كُورَتْ
 (فارسية) لينة . متسكًا (الاترج بالحبشية) مجوس . مرجان .
 مسك . مقاليد . مرقوم . مُزْجَاة . ملكوت . مناص (فرار
 بالنبطية) منسأة . منفطر . مهل (عكر الزيت) (لائمة) يام

الليل بالحبشية) هُدْنَا . هَوْنَا (أي حكما في اللغة السريانية)
وَزْدَةٌ . وَزْر . ياقوت . يَجُور . ياسين (إنسان) يصدون
(يضجون في الحبشية) . اليهود . انتهى ما أردنا نقله عن السيوطي
واسم مصحف الذي سمي به القرآن نفسه معرب عن اللغة
الحبشية . وهو مشتق من (صَحَف) ومعناها بالحبشية كتب .
ومن الغريب أن كلمة (القاموس) التي سمي بها الفيروز آبادي
معجمه الشهير في متن اللغة العربية وثقيداً وأبدها - هي
أعجمية معربة . ومعنى القاموس البحر أو معظم مائه

وقد حاول بعضهم أن ينفى وقوع الأعجمي في القرآن
ذهاباً إلى أن وقوعه فيه ينفى كونه عربياً وقد قال تعالى انه عربي .
لكن قول هذا البعض أصبح مغموراً بأقوال جلة العلماء . وكبار
الباحثين . وقد استدلوا على الوقوع بأدلة كثيرة : منها ما
أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل
قال « في القرآن من كل لسان »

وقال آخر لما حوى القرآن علوم الأولين والآخرين . ونبأ

كل شيء . فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والالسن
 لتتم إحاطته بكل شيء . فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها
 وأكثرها استعمالاً للعرب . ويشبه هذا القول في القرآن ما نقلناه
 آنفاً عن كمال بك كاتب الترك من قوله في لغته التركية الحديثة
 إنهم اختاروا لها من كل لغة أعذب كلماتها وخيرة ألفاظها .

طائفة من المعربات

كانت الأمة العربية لاول عهدا منحة في التجارة
 والزراعة والصناعة متأخرة في فنون العلم وضروب العرفان .
 وكادت تكون تكاليف حياتها ومطالب معيشتها منحصرة في
 شؤون معينة . وأطوار خاصة : أشهرها الحروب وأدواتها . والفيافي
 وحيواناتها . والأنعام وشيائها . والنساء وصفاتها . فيما يقرب من ذلك
 ويطوف حوالبه . وإذا أرادوا الزائد عليه : من شأن علمي أو
 زراعي أو صناعي أو كان من ادوات الترف والزينة ولم يجدوا
 له اسماً في لغتهم . ولم يعرفوه فيما كانوا عليه من نوع مدنيتهم —
 تناولوا اسمه من لغات الامم المطيفة بهم العريقة في المدنية

ومقوماتها . والحضارة وشؤوناتها
 وأشهر تلك الامم لذلك العهد الفرس والروم . ولذلك
 كان في كلام العرب كثير من الاسماء الفارسية والرومية التي
 كانوا يستكثرون من جاب مسمياتها الى جزيرتهم من بلاد
 تينكم الامتين : كضروب الرياش والاثاث والثياب . وصنوف
 البقول والثمار والرياحين . وانواع الماعون والحراثي والمصنوعات
 والادوات . مما لم تساعدهم درجة عمرانهم على إحداثه أو صنعه
 في بلادهم . وقد اضطروا إلى اقتباسه وجلبه من جيرانهم
 للانتفاع به

ثم كثر هذا الاقتباس . وانفسحت دائرته بعد الفتح
 الاسلامي . وامتزاج الامم عامة والامتين المذكورتين خاصة بالامة
 العربية . وتناول هذه منهم عن كتب معظم مقومات حضارتها .
 ومرافق معيشتها .

ولا يمكن استقصاء تلك الكلمات التي دخلت على اللغة
 العربية في الجاهلية والاسلام : وذلك لكثرتها . ووفرة حصاها
 وإنما نحن هنا نأتي على ذكر طائفة منها . مما لا يخلو كلام بليغ منه .
 ويكون كافياً في الدلالة على أن منزلة العرب في نظر أسلافنا

وبالنسبة لفصيح اللغة - فوق ما نحن ظانون :

« الحيوانات » جاموس . سممر . بط . باشق . بردون .
 هملاج . حرذون . أنكليس . مارماهي (وهما اسمان لحيوان مائي
 كالحيمة . وعربيته جرّيث . ويقولون اليوم جرّري) . حرباء
 بختي . سودنيق . (وهو الشاهين) . فيل (معرب پيل بالباء
 الفارسية كذا قال لي بعض علماء الفرس . والباء الفارسية تحوّل
 في المعرب إلى فاء : نحو فلفل أصله پليل وفتجان أصله پنكان)
 « النباتات والرياحين » بازنجان . لوبياء (وعربيته الدجر والياء)
 ماش . توت . (وعربيته فرصاد) خوخ (وعربيته الفرسك)
 خيار (وعربيته قتد) . دراقن . كثرى . أجاص . أترج (وعربيته
 المتك) . أرز . نارنج . ليمون . بندق . قصطل (معرب عن
 كستانه . وهو المسمى في مصر أبو فروه) أشنان . نارجيل .
 مقدونس . كزبرة (وعربيته نقدة) . فلفل . جوز . لوز . ورد .
 نرجس . نسرين . نيلوفر . سوسن . قرنفل . بنفسج . جلنار .
 مردكوش (أو مرزنجوش وعربيته شمشق) سذاب . ياسمين

(وعريته سجلاط بتشديد اللام: يقال طيلسان سجلاطي
أي أبيض كالياسمين • والطيلسان أيضاً معرب) • كبر
(وعريته لصف)

«العقاير» إديلباج • قرفة • كراويا • مصطكا • زاج •

أرجوان • قرمز

«الماء كول» • كوك • نشا • سميد • سكر • قند •

فانيد • طبرزد (والثلاثة من أنواع السكر) • عجة • كباب •

جرّدق • سكباج • (لحم يطبخ بخل) لقانق (هو المسمى سجوق) •

فالودج • لوزينج • كانخ • تابل • (وعريته الفحا)

«المشروب» • جلاب • بازق • إسفنت • خندريس •

(الطيوب) مسك • عنبر • صندل • نوافج المسك •

«اللبوس» • قميص • سراويل • تكّة • برنس • طيلسان •

سمور • سنجاب • قرطاق • جورب • جرموق • سرهوزة • خوذة •

تبان • زنار • هميان • شاش • كرباس • ديباج • مرعزي •

إبريسم • قز • خز • دروز الثوب • قونس (بيضة الحديد)

« المعادن » . توتياء . رصاص (وعربيته صرّقان) .
 زئبق . بورك . مغنطيس . حصّ . زرنیخ . اسفیداج . سنبادج .
 ابریز . درهم . دینار . دانق .

« الاحجار الكريمة » . جوهر . الماس . بهرمان . زمرد .
 یاقوت . فیروز . زبرجد . بادزهر . بلور . مشخّلب .

« الآلات » . أسطراب . طرجهاره (آلة مائة) بنكام
 (ما تقدر به الساعة النجومية من الرمل) قبان . الستر . الزیج
 (وكلاهما خيط البناء : نقول لمن تهدده لا قيمتك على التری . واسمه
 في العربية إمام ومطمر) بركار . بوثقة . جلاهو . منجنيق .
 « آلات الطرب » . موسيقى . قانون . ناي . بریط .
 جنك . طنبور . أرغن . صنج .

« الأدوات والماعون » . قمقم . هاون (وعربيته منحاز
 ومهراس) . طست . طبق . قصعة . سكرجة (إناء صغير أكثر
 ما يوضع فيه الكوامخ أي المشهيات . وعربيته ثقوة) . دورق .
 كوز . جرة . فنجان . باطية (عربيتها ناجود) . لجام . خوان .

سكردان (الخزانة) دولاب . بقجة . شنطة (عربيتها العيبة) برذعة .
 شطرنج . طاجن . (وعربيته مقل) مترس الباب (وعربيته
 شجار) . سجنجل (وعربيته مرآة ووذيلة) . صولجان (وعربيته
 طبطابة وميجار) . تخت . طنفسة . خلقين . بشكير . ميزاب
 (وعربيته المثعب)

« الكلمات العلمية والفنية » أستاذ . جهيد . تلميذ .
 كيمياء . هيولي . كيموس . برسام . مارستان . نقرس .
 قولنج . ما ليخوليا . ترياق . فلسفة . سفسطة . طقس . إقليم .
 أسطول . طلسم . نموذج . فهرست . تاريخ . فدآن . فرسخ .
 بريد . قانون . كيوان . إفريز . سفجة . كاغد . بطاقة .
 مهرق (خرق تصقل ويكتب عليها) صك .

« الكلمات الدينية » إبليس . شيطان . صنم . فردوس .
 مصحف . إنجيل . توراة . كهنوت . أبرشية . عنصرة . قسيس .
 شدياق . أسقف . شماس . مطران . خوري . معمودية .
 كنيسة . دير . مجوس . زنديق . نفاق . (وهو بالحبشية

البدعة أو الضلالة) • نوروز • مهرجان •
 « كلمات شتى » طراز • قنطرة • قنطار • أسطوانة • أوج • ترعة •
 إصطبل • كوسج (وعربيته أنط) • بطريق • (القائد من قواد الروم)
 سرقين • بستان • إيوان • ديوان • درابزين • البند (وهو
 العلم) • جاسوس • (وعربيته الناطس) • عسكر • خوز (وهو
 الخليج) • عربون • قاموس (البحر) • تنور • بخت (بمعنى
 الحظ) • ناطور • دهقان (شيخ القرية) • كانون • شباط •
 آذار (إلى آخر أسماء الأشهر الرومية الاثني عشر) وهي معربة
 عن السريانية) • صهريج • ساباط • دهليز • سرداب • قمس (كسكر
 الشريف) • فنزج (ضرب من رقص المجوس معرب بنجكان) •
 قرصان (من الاسبانية) • بهرج • فرند • خندق (وأصله كنده
 أي محفور) • قيروان (القافلة أو الجماعة) • آجر • خورنق (موضع
 الأكل والشرب معرب خورنكاه) • ميناء • نوتي • ليان •
 بلان • جوسق (ويقال له اليوم كشك معرب عن الفارسية) •
 حانوت • برشان •

« كلمات مشكوك في عريبتها » آس . ندد . سلة . مشمش
قط . فرن . قصف (اللهو واللعب) . وقد رأينا لبعض الفضلاء
المعاصرين كلاماً نقيساً في تحقيق بعض الكلمات العربية
وإرجاعها الى اللغة التي نقلت عنها مما لم يعرفه المتقدمون أو
حسبوا أنه مهرب من لغة أخرى . وإنا نلخص من كلامه ما نتم
به الفائدة : (منبر) معرب و بر بالحبشية ومعناه فيها كرسي
أو مجلس أو عرش (حوارى) بالحبشية رسول (برهان) بالحبشية
نور . وبره التضح أو أنار . (عنيسة) اسم للأسد بالحبشية .
وقد سمي به العرب أولادهم و (الحج) و (الكاهن) و (عاشوراء)
معربات عن العبرانية . وهناك كثير من الكلمات عربت من
اللغة الهندية السنسكريتية وقد تساهل المتقدمون فزعموا انها فارسية
الاصل : وهي (مسك) معرب مشكا و (كافور) معرب كابور
و (فلفل) اصله فيفالا أو پيالا و (شطرنج) معربة من
شورتكا) أي الاجزاء الاربعة التي يتألف منها الجيش عند الهنود
وهي الافراس والافيال والمركبات والمشاة . و (جاموس) معرب
من جاوميشا . ومعناه البقرة الكاذبة . وكذا (الزنجبيل) و (القرنفل)
معربتان عن اللغة الهندية لان بلاد الهند منبتهما . وهكذا كلما

أغلق علينا نسب كلمة نبحث عن معناها في أي بلاد صنع ذلك المني أو
استنبت أو اخترع فنعرف إذ ذاك أن اللفظ الذي وضع له هو من لغة
أهالي تلك البلاد وكلمات (صبح) و (بهاء) و (ضياء) و (سفينة)
هي من اللغة السنسكريتية في غالب الظن .

ومما عرب عن اللغة الفارسية كلمات (خشاف) واصله
خوش آب و (بابوج) أصله پاپوش - (پا) قدم و (برش) ستر .
أقول ومثله (طربوش) معناه ساتر الاعلافان معنى (طار) الاعلا .
و (سربوش) معناه ساتر الرأس .

قال و (سراب) أصلها سيراب أي مملوء ماء . أقول أو
أن أصله (سراب) أي رأس الماء وهو النبع : فان السائر في البيداء
يحسب السراب عن بعد نبعاً يتفرق ماؤه .

قال : و (زمهرير) مررب من زم أريزاً أي ضباب بارد
و (جزاف) من كزاف وهو عبث الكلام . و (ضنك) من تنك
بمعنى ضيق . و (تباشير) معناها مثل اللبن . ثم جعل الفرس
يكنون بهاء من الصبح . واستعملها العرب في أوائل كل شيء . وكلمة
(الوزير) من أصل فارسي بهلوي ايضاً .

ومما عرب من اللغة الهيروغرافية وهي المصرية القديمة - كلمة

(قبس) اصلها خبس اي مصباح و (نبي) معناها رئيس العائلة
او المنزل .

ومما عرب من اللاتينية كلمة (بلاط) ومعناها قصر الملك
واصلها پالاتيم (Palatium)

ومن اليونانية كلمة (قلم) واصلها كالاموس (Kalamos)
ولقائل أن يقول ان كلمتي (بلاط) و (قلم) مثلاً عريبتان وقد
أخذهما من العربية المتكلمون باللاتينية واليونانية . لا أن العرب
أخذوهما من تينك اللغتين . ولا يبعد ان تكون بلاط وقلم وامثالهما
مما وضعه العرب وغيرهم . فهو من قبيل توارد اللغتين واشتراك
اهلها في استعمال كلمة ابتداءً من غير أن يأخذ احدهما عن الآخر
قال : وكلمات (شتاء) (شهر) (لحم) (ملح) (آب) و هو
الكلا (تنب) (ثلج) (عبد) (مرء) (بعل) (هبل) (شعر)
المنظوم (ألوكة) (سورة) (ورق) (يرقان) -- كلها ترجع
الى اصول سريانية أو عبرانية . وكذا أفعال (كتب) (سطر)
(طبخ) (أرخ) . وأن هذه الأخيرة معربة من (يرح) ومعناه
الشهر في اللغة السامية .

ومن المعرب كلمات القباء الجبة الجزية جبر آمين توبة

جبروت تسبيح سبط سفر طوفان فصيح فقارة قداس قربان
 قيامة ناقوس نياحة طاغوت طوبى زيزفون سقمونيا بابونج بنج
 خيار شمير راينج زرجون شيرج سرسام قيراط انبيق اسطقس
 جنزار .

أما الكلمات الافرنجية التي دخلت الى اللغة العربية في
 هذه الازمنة المتأخرة فكثيرة جداً الا يحصيها عدو . وانما نشير
 اليها بقليل مما ذكره ذلك الفاضل : (قرش) (معرب) (Groschen)
 (باره) (سرايه) (فنصل) (بوليس) (بوسطه) (اسكله)
 (بورصه) (بنك) (كرك :) الخ الخ انتهى

هذا مثال من المعربات مما لا يكاد يخلو منه كتاب أو
 خطاب . وأما الإحاطة بها فلا تأتي لنا إلا إذا أردنا أن نفردها
 معجماً خاصاً . ومن تصفح كتب اللغة ومعاجم متونها لحقه
 الدهش من كثرة تلك المعربات وانسياها في أحناء لغتنا وتضاعيف
 كلام أدبائنا وشعرائنا .

وأرى أن معظم هذه الكلمات التي سردناها قد عرّبه العامة
 والتجار وأرباب الصنائع والمستبضعون الذين يضربون في البلاد

ويمتزجون بالأمم • أما اسطرلاب • كيوان • بنكام •
 كيموس • برسام • ترياق • فلسفة • طلسم • كيميا وأمثالها
 فقد دخل إلى اللغة العربية في القرون الإسلامية السالفة كما
 دخل إليها في هذا العصر كلمات التلغراف والتلفون والفونوغراف
 والتيفوئيد والمالاريا والميكروب والتلسكوب ونحوها مما جاءنا به
 نعمة العلوم العصرية لهذا العهد ولم يروا منذوحة من تعريبه •
 والكلمات العلمية القديمة التي ذكرنا آنفاً نموذجاً منها قد
 نقلها إلى لغتنا الذين اشتغلوا في ترجمة العلوم والفنون عن لغاتها
 الأصلية كاليونانية • لاسيما ما كان من ذلك في زمن النهضة العباسية
 أو المأمونية حينما عمدت الجامعات وأنشئت دور الحكمة • فصار
 يؤمها كبار العلماء لاجل النظر فيما ينقله أوئلك المترجمون من
 الكلمات الأعجمية وتقدمها وتدوينها • وبذلك انتظم أمر تلك
 العلوم • واتحدت طريقتهما بين أربابها والمشتغلين فيها • وهذا ما
 نصبوا إليه في هذه الأيام • ونحسبه من أكبر دواعي تقدمنا •
 واتساع نطاق لغتنا • وانتشار العلوم على أنواعها فيما بيننا

شُرط التعريب

قلنا أولاً ان حد التعريب أن نتكلم العرب بالكلمة الاعجمية
والعرب لم يكونوا يخالطون الاعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد .
ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف منها نحن . لذلك كانت
ألسنتهم غير ممرّنة على النطق بالكلمات الاعجمية . واسماعهم غير
مستأنسة بلهجتها ونعمتها استئناسنا نحن بهما . فمن ثم كانوا
إذا عربوا كلمة أفرغوها في قوالب كلماتهم العربية . وردّها
إلى صيغها وأوزانها . إلا ما ندر .

من ذلك النادر كلمات خراسان و ابراهيم واطريف
واهلبيج و ابريسم و آجر و شطرنج وفتح الشين . فانه لا يوجد في
الاوزان العربية فعّالان و افعاليل و افعيلل و فاعل و فَعَلَل .
و كانوا مع ذلك ينطقون بتلك الكلمات المغايرة لاوزانهم . ولا
يتحرّجون من تكرارها في كلامهم .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا
ووردت كلمة ابراهيم العبرانية في القرآن الكريم مرات

عديدة . وبهذه المناسبة نقول ان ابليس اليونانية ذكرت في القرآن
 تسع مرات . وشيطان اليونانية ايضاً ذكرت اثنتين وخمسين مرة .
 ولما رأى الجوهري ان العرب قلما يعربون كلمة ما لم يردوها
 الى كلمة توازنها في لغتهم - جعل ذلك شرطاً في التعريب وفي
 صحة اطلاق « المعرب » على الكلمة المنقولة الى العربية . وزاد
 في تعريف التعريب قيداً فقال « أن نتكلم العرب بالكلمة
 الاعجمية على نهجها واسلوبها » فقله على نهجها واسلوبها ناظر
 فيه الى ما قلناه . وهذا ما عناه المرحوم جمال الدين الافغاني بقوله:
 اذا اردنا استعمال كلمة اعجمية في اللغة العربية فما علينا الا ان
 نلبسها مشحماً وعقلاً فتصبح عربية . وقد اراد بالمشح والعقال
 ما اراده الجوهري بالنهج والاسلوب . وتبع الحريري الجوهري
 في زيادة هذا القيد حتى قال في كتابه درة الغواص ان فتح
 الشين من شطرنج خطأ والصواب كسرهما لتصير على وزن
 قرطعب وجرد حل

ولا يمنع الجوهري والحريري ورود مثل خراسان واهليلج
 واجر في كلام العرب وانما يمنعان جريان التعريب فيه واطلاق
 اسم المعرب عليه فهما واشباعهما يقولون ان خراسان واخواتها

كلمات أعجمية وردت في كلام العرب وليست معربة إلى لغتهم
 فالكلمات التي تنطق بها العرب في اعتبارها هؤلاء ثلاث مراتب :
 عربية ومعربة وأعجمية . أما سيويه وجمهور أهل اللغة فقد ذهبوا
 إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً : فهم
 تارة يلحقونها بأبنية كلامهم كدرهم وزبرج . وطوراً لا يلحقونها
 بها كإبراهيم وأجر وشطرنج (بفتح الشين) وإبريسم . ومن هذا
 القبيل « سمندو » و « قندو » اسمان أعجميان لمدينتين : فان العرب عربوها
 ونطقوا بهما بواوهما الساكنة في آخرهما كما هما في الأعجمية . مع أنه
 لم يوجد في أوزان كلامهم إسم على هذا المثال قط : أي بواو
 ساكنة في الآخر . فرتب الكلام إذن عند سيويه ثنتان : عربية
 ومعربة . ومدار التعريب عنده على الاستعمال وحده . وقد ذهب
 مذهبه عامة أهل اللغة . فصرحوا بأنه لا يلزم في المعربات أن تجري
 على أمثلة الأوزان العربية . بل إن جاءت فحسن لتكون مع إقحامها
 على العربية شبيهة بأوزانها .

وقد يتفق أن تغير العرب الأسماء الأعجمية التي تُعربها
 تغييراً لا يكون معه إلحاقاً بأوزانها ومناهج كلامها : كقول
 الأَعشى « وكسرى شهنشاہ الذی سار ملکہ » أصل الكلمة

« شاهان شاه » أي ملك الملوك . فقد حذف منها الالفين الاولين حتى صارت شهنشاه . و بقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من أوزان العرب . قد يقال إن مذهب سيويه هذا أرفق باللغة والمتكلمين بها . وأعون على حياتها . واتساع دائرتها . لاسيما زماناً كزماننا هذا : انتشرت فيه اللغات الاعجمية بيننا . ومرت على النطق بكلماتنا السننتنا . ولا نجتمع لغوية لدينا تعني بنقد تلك الكلمات وردّها الى أبنية عربية . وأمراً في التعريب على العكس من أمر العرب : هم كانوا كلما بقون الكلمة الاعجمية على هيئتها الاصلية ونحن كلما نحوّرها الى أوزان لغتنا : فتلغراف وتلفون وفونوغراف وأتومويل وتياترو وسنتاموغراف وبروجرام في كثير من نظائرها نكاد نطق بها كما أنزلت على لسان أهلها وتسمى معربة . ويسمى استعمالنا لها - وإن لم نغيّرْها أو نلحقها - تعريباً على ما ذهب إليه سيويه .

وكان سيويه وأشياعه نظروا اليها وإلى ما يطرا على لغتنا بعين الغيب : فلم يشترطوا في التعريب سوى الاستعمال . ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة وإلحاقها بأوزاننا - لضقنا ذرعاً بتلك الكلمات الاعجمية الكثيرة التي تنهال على لغتنا أيما انهبال . وليس

لنا من العناية وانشاء الجامع ما يقوم بهذا الشرط وبفيه حقه .
 فكون اذن في اعتبار اولئك الجهابذة المشترطين - اعاجم نتكلم
 اللمطمانية . وتراطن بلغتنا تراطبا .

على اننا مهما استحسنا رأي سيبويه في عدم اشتراطه رد
 الكلمة المعرّبة إلى مناهج اللغة وأوزانها - ينبغي أن نقف في
 ذلك عند حد محدود . وإلا تكاثرت الكلمات الاعجمية ذات
 الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى . وخرجت على
 تمادي الايام بذلك عن صورتها وشكلها . وعادت لغة خلاسية :
 لا عربية ولا أعجمية . كاللغة المماطية . أو كسائر اللغات العربية
 لعامية . في مختلف الاقطار الاسلامية . فكم نحن اذن في حاجة
 إلى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يهددها
 وينتشلها من هذه الهوة التي نخشى أن تواقعها .



التعريب قياسي

ذكرنا في بحث الاشتقاق أنه ما استأثر به أهل اللغة :
 فان لهم وحدهم أن يشنتوا كلمة من أخرى . وليس لغيرهم أن
 يفعل فعلهم بحيث تعدُّ كلمته التي اشتقها عربية فصيحة . ونقلنا
 قول ابن فارس في ذلك . ولكنني لم أعثر على رأي للعلماء في
 التعريب . وانه هل هو كالاشتقاق ما استأثر به العرب : فلم
 وحدهم أن يعربوا الكلمات الأعجمية . ويجعلوها في عداد كلمهم .
 ويكون التعريب سماعياً كالاشتقاق ؟ أو هو قياسي : فيجوز
 لأي كان ولو من المحدثين أن يتناول كلمة أعجمية فيعربها
 ويستعملها في كلامه العربي ؟

الظاهر اثنائي بدليل كثرة الكلمات الأعجمية التي نقلت إلى
 اللغة العربية في الصدر الأول الإسلامي . واستعملها أهلها في
 منشورهم ومنظومهم بلا تكبير . ناهيك ما كان من المأمون وعنايته
 فيما كان ينقله العلماء والمترجمون إلى اللغة العربية من كلمات الأعاجم

في العلم والفلسفة ومختلف الفنون الطبية والكيمائية والطبيعية
على أن هناك فرقا عظيماً بين الاشتقاق والتعريب من حيث
أن الثاني - ونعني به هنا اقتباس كل لغة من لغة أخرى -
ضروري الوقوع في كل لغة نامية حية كاللغة العربية . فما دامت
الأمة تخالط غيرها من الأمم . وتعامله . أو تغلب عليه . ويتغلب
عليها . فإن لغتها لا تبقى في معزل عن طرود الدخيل عليها مهما
تجافت وتحننت . ومن له معرفة بشيء من هذه اللغات الغربية
عرف أن واحدة منها لا تخلو من أن يكون فيها كثير من الكلمات
اقتبستها من جارتها . وفي اللغتين الفرنسية والاسبانية طائفة
من كلمات العرب .

فالاقتباس على هذا النحو أثر طبيعي في كل لغة حية لم
يحل بين أهلها وبين غيرهم من الأمم حائل يمنع ذلك الاقتباس .
ولست اللغة العربية ببدع من تلك اللغات . وليست هي في
جميع أدوارها التاريخية قبل الإسلام وبعده - بالتالي يمكنها أن
تسلم من تأثير هذا الناموس الطبيعي فيها .

ومن ثم لم يجزأ علماء اللغة فيما أظن على القول بأن التعريب
سماعي. أو أن المولدين محجور عليهم أن يقتبسوا ويعرّبوا. أو
أن كلامهم الذي انطوت جوانحه على شيء من هذه المعربات
غير عربي أو غير فصيح.

وما صرح به العلماء في بحث الكلمات المعربة الواردة في
القرآن - أن تلك الكلمات لا تؤثر في عروبة القرآن. ولا تخرجه
عن كونه «قرآناً عربياً» كما أخبر الله تعالى. وهؤلاء فصحاء
العرب أنفسهم كانوا يستعملون الكلمات الأعجمية في
منظومهم ومنشورهم. ويبقون مع هذا فصحاء بلغاء وكلامهم
فصيحاً بليغاً

معربات السنة

وقد ورد في الحديث والسنة الشريفة كثير من الكلمات
الأعجمية الدخيلة. ولا بأس في الإشارة إلى بعض ما ورد من
هذا القبيل.

« زرماتقه » جبة صوف وهي عبرانية . « سرقة » قطعة من
 جيد الحرير . جمعها سرق . فارسية أصلها سره . ومعناه الجيد .
 « الشبور » البوق عبرانية . « طازجة » خالصة منقاة . معرب
 تازة الفارسية . « برازيق » جماعات . فارسية . « الطسق » ويقولون
 الطسوج أيضاً الوظيفة من خراج الارض المقرر عليها . وهي فارسية .
 « الفهور » مواضع مدارس اليهود . نبطية أو عبرانية . « الفيج »
 المسرع في مشيه الذي يحمل الاخبار من بلد إلى بلد . فارسي
 معرب . وهو ما يقال له اليوم الساعي أو حامل البريد . « الكركم »
 الزعفران أو العصفراًوشي كالكورس . فارسي معرب . « الماحوز »
 الموضع الذي يقصده الانسان في سفره . وليست عربية . « الماخور »
 مجمع أهل الفسق والفساد . وبيت الخمار . معرب من مخور فارسية .
 « الماذيان » النهر الكبير . فارسية « المرزبان » البطل المقدم على
 القوم . فارسية . وجمعها مرزابة . « الموبدان » بمنزلة قاضي القضاة
 في الاسلام . وجمعها موابدة . « القهرمان » الخازن والوكيل . جمعها
 قهارمة . « قلية » أو « قلاية » معبد للنصاري كالصومعة . معرب

كلادة « اندروزديه » سراويل مشمر كالتبان . فارسية . « الهنباط »
 صاحب الجيش . رومية . « بختج » و « ميسوسن » ضربان من
 المسكر . معربتان « يدَرَقِلون » يلعبون ويرقصون باللغة الحبشية .
 وفعلم الدرقة والدركمة « الدرهرهه » سكنين معوجة الرأس . قال
 ابن الانباري هي ما يسمونه المنجل . فارسية . « دسكرة » بناء على
 هيئة القصر . فيه منازل ويوت للخدم والحشم . وهي فارسية .
 « الخربز » البطيخ بالفارسية . « الخرديق » المرق . فارسي معرب
 وأنشد الفرّاء

(قالت سليمان اشتر لنا دقيقا واشتر شحيمًا نتخذ خرديقا)

« انه كان يلبس البرانس والمساق ويصلي فيها »
 البرنس معرب . والمساق جمع مستقة . فرو طويل الكمين
 معرب مشتته .

« امرأة نزع موزجها فسقت به كلباً » الموزج الخف
 معرب موزه بالفارسية .

وفي صفة الجنة « وأنهار من عسل مصفى من موم العسل »

الموم الشمع . معرب « الدرهم يطعم الدرملق . ويكسو النرمق » الدرملق
 الدقيق المحور يعني الابيض . أما النرمق فهو اللين من الثياب
 فارسي معرب . أصله النرم . ويروى اليرملق بالباء . وهو القباء .
 وأنكره بعضهم قال وإنما هو اليلملق . معرب يلمه .

« أتى بسارق قد سرق بختية » البخاتي جمال طوال

الاعناق . واحدها بختى وبختية . فارسي معرب .

« نزل آدم من الجنة بالباسنة » الباسنة سكة المحرث

غير عربية . « وجعل أبا عبيدة على البياذقة » الرجالة . واحده

بيذق . وهم البيادة في اصطلاح هذه الايام . ومنه بيذق

الشطرنج . والكلمة فارسية . « البيشيارجات تعظم البطن »

هي ما يقدم إلى الضيف قبل الطعام . فارسية . واعلمها التي يطلق

عليها الفرنسيون كلمة « Entrées » أو كلمة « Hors d'œuvre »

في حديث جريج العابد « إنه مسح على رأس الصبي وقال

يا بابوس من أبوك ؟ » البابوس الصبي الرضيع . وهي كلمة دخيلة .

والطفل الصغير يعبر عنه في اللغة الفرنسية بكلمة « Bébé »

« بابا » بألفين ممالتين إلى ياء . في حديث أبي وائل « ورد علينا
 كتاب عمر . وفيه إذا قال الرجل للرجل لا تدحل فقد أمنه »
 لا تدحل بالحاء المهملة . بمعنى لا تخف بالنبطية . وفي حديث
 الحسن « سأله رجل عن الصحناء فقال وهل يأكل المسلمون
 الصحناء ؟ » هي إدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصاح
 للمعدة . والكلمة أعجمية . وعمل الصحناء ما يسمونه اليوم
 « السردين »

« أهدى رجل من العراق إلى ابن عمر جوارش » هي نوع
 من الادوية المركبة . يقوي المعدة ويهضم الطعام . معرب .
 في حديث عيسى عليه السلام « إنه لم يخلف الآقشين
 ومخذفة » المخذفة المقلاع . أما القفش فهو فارسي معرب كفه
 أو كفش . وهو الخف القصير . وما يدرينا أن تكون كلمة خف
 نفسها التي نحسبها عربية محضة - معربة عن كفش أو كفش .
 وفي حديث مجاهد « يغدو الشيطان بقيروانه إلى السوق »
 والقيروان الجماعة أو القافلة . وهي معربة عن الفارسية .

وأصلها «كاربان»

«أكل الحسن أو الحسين تمر من تمر الصدقة فقال

النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ» كلمة يزر بها الصبي ويردع. ونقال عند التقذر أيضاً. وهي أعجمية عربت.

ولا يضر فصاحته صلى الله عليه وسلم وجود كلمات أعجمية

في كلامه. كما لم يضر ذلك فصاحة القرآن. ويحتمل أن منشأ

قول البعض: إنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف كل لغة. ويتكلم

بكل لسان - وجود بعض كلمات في كلامه من لغات أعجمية

مختلفة فقال قائل: إنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بلغات

الاعاجم. يعني أنه لا يأنف من أن يودع في كلامه من تلك

اللغات. ويستعملها إذا عرضت له. فحسبه الآخر يني أنه صلى

الله عليه وسلم يعرف الألسنة الأعجمية بمجموعها بحيث يمكنه

أن يحاور أهلها. ثم فشا هذا الوهم في رواية الحديث. وتداولوه

بينهم. وسئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان تزميله صلى الله

عليه وسلم؟ قالت «كان مرطاً طوله أربعة عشر ذراعاً. نصفه عليّ

وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي « فسئلت ما كان ؟ قالت
« والله ما كان خزاً ولا قزاً ولا مرعزياً ولا إبريسم ولا صوفاً :
كان سداه شعراً ولحمته وبراً » فقولها ولا خزاً الخ من باب
النطق بكلمات الاعاجم .

المعرب عربي أو بمنزلة

وإنما كان إبداع القرآن أو الحديث أو أي كلام
عربي - شيئاً من الكلمات الأعجمية المعربة لا يخرجها عن العروبة
ولا ينزع عنه لباس الفصاحة والبلاغة - ذلك لأن مولى القوم منهم
ولأن سلمان الفارسي قد أصبح بعد إسلامه واتباعه طريقة
آل البيت واحداً من آل البيت .

لا جرم أن القاري الكريم قد أدرك ما أردناه من هذين
المثلين - أردنا أن الكلمة الأعجمية تصبح بعد تعريبها بمنزلة
الكلمات العربية . وقد قال الجواليقي إن المعربات الأعجمية باعتبار
الأصل عربية باعتبار الحال . وتبعه على ذلك الإمام ابن

الجوزي وغيره . وصرحوا بان الكلمات الاعجمية التي وقعت
 للعرب فعرّبوها بأَسْمَتِهِمْ . وحوّلوها عن الفاظ العجم الى الفاظهم
 تصبح عربية . فيجري عليها من الاحكام ما يجري على تلك .
 فتوارد عليها اعلامات الاعراب الا في بعض الاحوال . وتُعرف
 بأل . وتضاف ويضاف اليها . وثنتى وتجمع . وتذكر وتؤنث
 وفوق ذلك كله تصرف اهل اللغة في الكلمة المعربة واعيالهم
 مباحع الاشتقاق في بنيتها . وهذا عندي من ابين الادلة على
 كون المعرب في اعتبارهم عربياً : فقد قالوا : في زندق زندقه
 وتزندق . واشتقوا من فيلسوف فاسفة ونفسف . ومن
 سوفسطائي سفسط سفسطة . ومن مزركش زرکش زرکشة .
 ومن طراز طرز طريزاً وهو مطرز ومطرز . ومن المورخ
 المعرب عن « ماه روز » أرخ يورخ تاريخاً . ومن سردق بيت
 مسردق . ومن ديوان دوز تدويناً . ومن دهقان دهقنوه دهقنة
 وتدهقن . ومن خاقان خقنوه على انفسهم ملكوه . ومن اسقف
 اسقنوه على ابناء طائفته جعلوه اسقفا عليهم . ومن نوروز
 نورز . واهدي الى علي رضي الله عنه في النوروز الخبيص
 فقال نورزو الناكل يوم . وقال الشاعر :

نورز الناس ونورز ت واكن بدموعي

وذلك انهم في يوم النوروز كانوا يشعلون النيران . ويرشون

المياه امام بيوتهم . ذكر ذلك المنريزي وغيره .

ومن الصارج وهو الكاس صرج الحوض تعريجاً . والحوض

مصهرج أي معمول بالصارج . ومن الفز قزاز وهو لذي بيعه

ومن يريد أبرد صاحب البريد الى الأمير أي أرسل اليه

بريداً فهو مبرد . ومن المهر وهو الخاتم بالفارسية مهر الكتاب

ختمه فهو مهور . والنواخذة ملاك سفن البحر أو وكلائهم . معرب

واحد ناخذاه . وقد اشتقوا منه فعلاً فقولوا : نخذ على وزان تترس

والكشخان الدوث . فارسي معرب . جعلوا له مصدراً فقالوا كشخنة

يريدون الديانة . وروى صاحب الاغانى في اخبار « ذات

الخال » أن هرون الرشيد قال يوماً في مجلسه « أيُّكم لا يبالي ان

يكون كشخاناً حتى أهب له ذات الخال » . وذكر الجوهري « ان

هنداز معرب اندازه يقال أعطاه بلا حساب ولا هنداز . ثم

اشتقوا منه مهندز بالزاي على صيغة اسم الفاعل . وهو الذي

يقدر مجاري القنا حيث تحفر . وأبدلت زاية سيناً لانه ليس في

كلام العرب زاي معجمة بعد دال فقييل مهندس

ومن الأدلة على أن المعرب عربي قول الخليل : ليس في
كلام العرب على وزن فَعَلَّلَ غير كلمة « درهم » . ثم عدد كلمات
آخر ثلاثة . فانظر كيف أنه جعل كلمة درهم من كلام العرب
وَأنت تعلم أنها معرّبة من الرومية . وأصلها « درم » لكنهم زادوا عليها
الهاء لاجل المحاقها بهجرع . كذا قالوا . ويدور في خلدي أن الهاء من
درهم ليست مزيدة لللاحق وإنما هي أصلية محولة عن حرف
أعجمي . وهو الخاء فيما أحسب . وذلك أن عند اليونان (وهم
الروم) ضرباً من النقود يسمى « درخمة » بالحاء . وطالما ذكره
الكتاب والصحافيون بمناسبة كلامهم عن الشؤون المالية اليونانية
فيقولون مثلاً مئة ألف درخمة . فالهاء في درهم محولة عن خاء
أو حرف قريب منها يعرفه العارف باللغة اليونانية . وكان العرب
أخذوا اسم الدرهم من اليونانية كما أخذوا اسم الدينار من
الفارسية . ولكن أكد لي بعض الفضلاء أن الدينار ليست
فارسية وإنما هي معرّبة من اللاتينية .

ومن الاداة أيضاً على أن الكلمة الاعجمية إذا عربت
أصبحت في عداد كلام العرب . وملكاً لهم . وتحت مطلق تصرفهم -
ما ذكروه في كلمة « خُرَّم » على وزن سلم . هذه الكلمة فارسية
ومعناها العيش الهنيء الناعم . أو الشيء المبهج السار . وتطلق على
ضرب من النبات . ثم إن العرب أخذوا هذه الكلمة بحروفها
وحركاتها ولم يلحقوا بها شيئاً من التغيير : لأن لها في لغتهم مثلاً
وهو كلمة سلم . وجعلوا يستعملونها في معناها الفارسي . أعني
العيش الناعم . ثم بدا لهم أن يتصرفوا فيها تصرف الملاك فأطلقوها
على « سراج القطرب » وجعلوها اسماً له . فأصبح هذا المعرب
أعني « خُرَّم » من قبيل الاسم المشترك . وهو ضرب من المشترك
غريب : بعض معانيه فارسي وبعضها عربي . وللقطرب معان :
منها اللص الفاره (النشيط) في اللصوصية . ولعلمهم يريدون
بسراج القطرب - السراج الخاص باللصوص يستعملونه في
ليالي السرقات . وبالجملة فإن استعمال العرب لكلمة « خُرَّم »
في معنى عربي جديد لم تكن تطلق عليه في عهد عجمتها - آية على

٤
لادوانا سراج
قطرب
السنانات
التي
التي

أنَّ المَرَّبَّ عَرَبِيٌّ . وَأَنَّ مِنْ تَجَنُّسٍ بِجَنَسِيَّةٍ قَوْمٌ عَدُّ فِيهِمْ .
 وَصَلِحَ لِأَنَّ يَسْتُخْدَمُ فِي وِظَائِفِهِمْ .

وَلِأَبَاسٍ فِي أَنَّ نَسْتَشْهَدُ لِهَذَا أَيْضًا بِمَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُحْتَجِّ
 بِأَقْوَالِهِمْ : سَأَلُ هَذَا الْعَالَمَ عَمَّا عَرَبْتُهُ الْعَرَبُ مِنَ اللُّغَاتِ . وَاسْتَعْمَلْتُهُ
 فِي كَلَامِهَا . هَلْ يُعْطَى حُكْمُ كَلَامِهَا فَيَسْتَقُ . وَيَسْتَقُ مِنْهُ ؟ فَكَانَ
 مُلْخَصَ جَوَابِهِ عَنِ الْأَوَّلِ : أَنَّ الْكَلِمَةَ الْمَعْرَبَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقُ مِنْ
 كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ . إِذَا الْإِسْتِقَاقُ إِنَّمَا يَجْرِي فِي اللُّغَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْضُهَا مِنْ
 بَعْضٍ . لِأَنَّ الْإِسْتِقَاقَ نَتَاجُ وَتَوَلِيدٌ . وَنَحَالٌ أَنْ تَلِدَ الْمَرْأَةُ إِلَّا
 إِنْسَانًا . وَمَنْ أَدْعَى أَنْ إِسْحَقُ مِنْ أَسْحَقَهُ اللَّهُ أَبْعَدَهُ . وَيَعْقُوبُ مِنْ
 اسْمِ الطَّائِرِ - كَانَ كَمَنْ أَدْعَى أَنَّ الطَّيْرَ وَلَدَ الْحَوْتِ . وَأَجَابَ
 عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي وَهُوَ مَا إِذَا كَانَ الْمَعْرَبُ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَسْتَقُ
 مِنْهُ بِقَوْلِهِ : إِنَّ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْمَعْرَبِ الَّذِي أُجْرَى مَجْرَى
 الْعَرَبِيِّ تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الْجَارِيَّةُ عَلَى الْعَرَبِيِّ نَفْسِهِ مِنْ تَصَرُّفٍ
 فِيهِ وَاسْتِقَاقٍ مِنْهُ . ثُمَّ مَثَّلَ لَذَلِكَ بِاللُّجَامِ فَقَالَ إِنَّهُ مَعْرَبٌ مِنْ
 « لُغَامٍ » أَوْ « لُكَامٍ » الْفَارْسِيَّةِ . وَقَدْ جَمَعَ عَلَى لُجْمٍ كَكْتَبٍ وَصَغُرٍ
 عَلَى لُجِيمٍ . وَأَتَى الْفِعْلُ مِنْهُ بِمَصْدَرٍ وَهُوَ الْإِلْجَامُ . وَقَدْ أَلْجَمَهُ فَهُوَ مَلْجَمٌ
 وَغَيْرُ ذَلِكَ أَنْتَهَى مَا أَرَدْنَا الْإِسْتِشْهَادَ بِهِ مِنْ كَلَامِ ذَلِكَ الْفَاعِلِ

وأزيد عليه أن أهل اللغة لم يقتصروا في تصريف كلمة لجام
 والتصرف بها — على استعمالها بطريق الحقيقة بل تجاوزوها إلى
 التجاوز والكناية على نمط ما يفعلون بكلمات لغتهم : فقالوا أجمه الماء
 إذا بلغ منه موضع اللجام من الفرس وهو الفم . وقالوا « فلان لفظ
 لجامه » إذا انصرف من حاجته مجهوداً من الإعباء . وفي الحديث
 « النقي ملجم » أي انه مقيد اللسان لا يطلقه فيما لا يحلله له الشرع
 من الخوض في الباطل . وهكذا . فاستعمال كلمة « لجام » في هذه
 المعاني المجازية لا يقل في الدلالة على عريية المعرب — عما ذكرناه
 آنفاً في استعمال العرب لكلمة « خرم » في معنى جديد غير
 معناها الفارسي .

قد يكون المعرب فصيحاً

والناظر في كلام العرب يجدهم قد استعملوا كثيراً من
 الكلمات الاعجمية مع وجود نظير لها بمعناها في لغتهم العربية .
 وقد لا يكون لها نظير . فوجود النظير لها الذي قد يغني عنها لم
 يمنعهم من تعريبها . ولم يحل بينهم وبين استعمالها .
 وإذا ثبت أن المعرب الدخيل في حكم العربي الاصيل

كانا سواءً في صحة الاستعمال . وفي وصف الفصاحة . وفي كون
الكلام المؤلف منهما فصيحاً .

وقد اشترط علماء البلاغة في فصاحة المفرد خلوصه (١) من
تنافر الحروف : فمستشزرات في قول امرئ القيس « غداً ثره
مستشزرات إلى العلي » غير فصيح . و (٢) من الغرابة : فكلمة
مسرّجاً في قول الشاعر « وفاحماً ومرسناً مسرّجاً » غير فصيح
ويعني بالمرسّن الانف . و (٣) من مخالفة القياس اللغوي فقوله
« الحمد لله العليّ الاجلّ » بفك الادغام لضرورة الشعر -
مكان الاجلّ غير فصيح .

وجعل بعضهم مدار الفصاحة على كثرة استعمال العرب
للكلمة : فمتى كانت الكلمة كثيرة الدوران في كلامهم كانت
فصيحة . ولم يذكر الخلوص من الامور الثلاثة المذكورة : لأن
الكلمة إذا لم تخلُص منها بعد أن يكثر استعمالها وتداولها
بينهم . فالعبرة في الفصاحة عند هذا البعض كثرة الاستعمال .
وإذا أكثر العرب من استعمال كلمة أعجمية كانت فصيحة
ضرورة أنهم لم يشترطوا في الفصاحة إلا كثرة الاستعمال .

ولما ذكر نقاد اللغة الرديء المذموم من اللغات مثلوا بالنعنة
والكشكشة والكسكسة والمججعة ونظائر ذلك ولم يذكروا قط أن
يكون الكلمة اعمجية الاصل . ولم يمثّلوا بالمعربّات . وعلماء البلاغة
أنفسهم لم يذكروا في فصاحة المفرد سوى خلوصه مما ذكرنا من
لأُمور الثلاثة ولم يذكروا أن لا يكون معرباً . أو أن
لا يكون له نظيراً أو مرادف في اللغة العربية ويعدل عن نظيره
إليه - حتى إذا استعملنا معرباً في كلامنا غير فصيح .
وحتى إذا عدلنا عن العربي الاصل إلى المعرب الدخيل كبنينا
مسيئين إلى اللغة العربية . وناكبين عن نهج الفصاحة فيها .
راع في اللفظ المعرب - المخلص من التنافر بحيث لا
يعسر النطق به . ومن الغرابة بأن يكون مألوف الاستعمال .
ومن مخالفة القياس بأن يكون على قانون الالفاظ المراعي عند
أهل اللغة . أو يقال راع فيه أن يكون مما أكثر العرب
استعماله كما حققه بعضهم في فصاحة المفرد - وانك بعد ذلك
أن تستعمله بلا إثم ولا حرج .

ومن تجنَّس بالجنسية المصرية . وتوفَّرت فيه صفات الوطنيِّ
 الصادق - وجب على الوطن المصري أن يعدَّه من أبناءه . ويستعمله
 في وظائفه . ويأتمنه على مصالحه . ولا يكون بصنيعه هذا قد
 أساء إلى نفسه . أو إلى أبناء وطنه الأصليين . إذا دخلت في
 لغتنا كلمة من لغات الاعاجم . ثم شاع استعمالها بيننا حتى خفت
 على الألسنة . وحلت في الاسماع . فلم تكن من حوشي المعرَّبات
 (وحشيها) ولا عقدها ولا الغريب المشكل منها - جاز أن
 نستعملها فيما نكتب ونخطب . ولا نكون بذلك مخالفين لقوانين لغتنا .
 ولا آداب سلفنا . وكان كلامنا فصيحاً موقفاً . وعوده غضاً مورقاً .
 ولا يسن منا أن نهمل تلك الكلمة أو نبعي على مستعملها
 ثم نعوص في أعماق القواميس لاجل البحث عن كلمة في العربية
 القديمة تقوم مقامها . قلنا لك آنفاً إن القول المعتمد عند
 جهابذة اللغة وصيارف كلمها كسيبويه وأضرابه - أن مدار
 التعريب على الاستعمال : فإذا استعملت الكلمة الأعجمية
 بيننا أصبحت معربة . ثم اثبتنا لك أن العرب في حكم العربي
 حتى صبح أن تجري عليه أحكامه . ثم ذكرنا لك أن علماء

البلاغة لم يشترطوا في فصاحة المفرد خلوصه من العجمة - فمن بعد
 هذا كله لا ينبغي لك أن نقطب حاجبيك في وجه الكلمات
 المعربة. أو تسيء اليها باهمالها. والاعراض عنها. والبحث عن كلمة
 عربية منسوبة سواها. إن كنت ولا بد فاعلاً فابدأ قبل كل شيء
 بكلمات ورد. والماس. وباذنجان. ودرابزين. وعربون.
 ومسك. وناي. وأترج. ولوبيا. وجاسوس. وخوخ.
 الأعجميات المعربات المحببات إلى الأذواق والاسماع واستعمل
 في كلامك مكانها حوجم. سامور. حدج. حلق. مسكان.
 مشوم. زمخر. سجالاط. متك. دجر. ناطس. فرسك.
 فإن هذه هي الكلمات العربية المحضة التي كان يستعملها
 آجدادنا العرب قبل أن يظفروا بتلك الكلمات الأعجمية. ما
 بالهم جفوها وعدلوا عنها إلى هذه الكلمات وهم أبر الناس
 بلغتهم. وأحنأهم عليها؟ لو لم يعرفوا أن المعربات أصبحت جزءاً من
 أجزاء لغتهم. وفرداً من أفراد أسرتها - لما جنحوا إليها. ولما عولوا في
 الاستعمال عليها: يعرفون أن في لغتهم الصرفان ومع ذلك

استعملوا من الأجمية كلمة ترادفها وهي الرصاص . ويعرفون
البنايق . وقد تعرفوا بأجميتها أيضاً أعني الدخاريص . ويعرفون
المقلي فاستعملوا أجميتها وهي الطاجن . ويعرفون المثعب وقد
استعملوا أجميته أعني الميزاب . ويعرفون الفرصاد ولم يمنعهم
ذلك عن النطق بأجميته وهي التوت . وامرء القيس يعرف
المرأة والوذيلة لكنه مع هذا لم يجد بأساً في استعمال سجنجل
فاستعملها في معلقته التي كانت العرب تستجد لفصاحتها . وسأل
علي رضي الله عنه قاضيه شريحاً مسألة فأجابها بما سره فقال له
علي « قالون » وهي معربة عن الرومية ومعناها أحسنت . ونقول
اليوم في مقامها « براقو » . وهل تحسب أمير المؤمنين لم يعرف
كلمة في العربية تقوم مقام « قالون » حتى رأى نفسه
مضطراً إلى استعمالها في خطاب شريح ؟ أين عزبت عن
ذهنه كلمات أصبت وأجدت وأحسنت ومرحى ومرحى الخ
وهو أمير البلاغة . وحامل لوائها . ومُشرع نهجها . لو كان استعمال
المعرب مع وجود العربي مخللاً بالفصاحة . أو مشوّهاً للكلام الفصيح

ركان أحق ما روعي هذا في كلام رب العالمين الذي بلغ في
 الفصاحة والبلاغة مبلغاً «انحد رغنهُ السيل . ولم يرق إِلَيْهِ الطير»
 لاسيما والبلاغة والفصاحة فِيهِ مقصودتان لمنزله سبحانهُ قصداً
 اقتضتهُ الحكمة في التحدّي والاعجاز ولاجل أن تحقّ الكلمة
 على العرب . ومع هذا كله فقد قال تعالى أرائك ولم يقل سررا
 وجبت ولم يقل شيطان أو ساحر على أن شيطان يونانية الاصل .
 ودريّ ولم يقل مضيء . ويمّ ولم يقل بحر . وحصب ولم يقل
 حطب . وسريّ ولم يقل نهر . وفوم ولم يقل حنطة . وقسطاس
 ولم يقل ميزان . وغساق ولم يقل بارد منتن . وسجّيل ولم يقل حجارة
 من طين . وصراط ولم يقل طريق . وطور ولم يقل جبل . وكل ما
 قاله سبحانهُ أعجمي دخيل . وكل ما سكت عنه عربي أصيل . مع
 ملاحظة أن المسكوت عنه ليس بالمحوشي أو المتنافر . بل هو فصيح
 وقد استعمله القرآن نفسه . ولحكمة يعلمها الله تعالى ونكتة اقتضتها
 أرقى رتب البلاغة - عدل سبحانه عن العربي الى الدخيل . ولعل
 الحكمة في ذلك تنبيهنا معشر العرب إلى ما يجب علينا من

العناية بالمعربات . والانتفاع بها . والاستكثار من سوادها بين
 ظهراي لغتنا . فتحيا بها . وتتمو . وتصير صالحا لحة لأن تلتحم مع مدنيات
 الامم كافة . كما أن دين تلك اللغة أعني دين الاسلام أنزل ليكون
 دين الأمم كافة . فإذا لم تندبر تلك الحكمة . ولم نعتن بالتعريب
 ونفسخ مجالا للمعربات على أسلأت السنننا . وأسنان أقلامنا -
 كنا عاملين على إماتة اللغة . أو ووقوف نموها . كما نحن الآن عاملون
 على إماتة الدين بعدم نشره بين الامم . ودعوتهم إليه بطرق
 الدعوة المعروفة . وأساليبها المألوفة . ولبعض العلماء في هذا المقام
 كلام نفيس يحسن نقله والاستشهاد به على صحة ما ذهبنا إليه
 من أن العرب الدخيل في العربية قد يكون فصيحاً بل أفصح
 من غيره ولو كان هذا الغير عريقاً في العروبة . قال :

إن قيل إن لفظ « استبرق » (الوارد في القرآن) ليس
 بعربي . وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة
 والبلاغة - فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا
 هذه اللفظة « استبرق » ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة

لعجزوا عن ذلك (وبعد أن ذكر وجه كون الفصاحة تستدعي
 اختيار كلمة « استبرق » دون غيرها من الكلمات من حيث أن
 الفصاحة توجب ذكر ضربٍ من ضروب الحرير يكون الأثقل
 الأثخن قال) : فإِما أن يُذكر ذلك الضرب من الحرير بلفظ
 واحد موضوع له صريحٌ . أو لا يذكر بمثل هذا . ولا شك أن
 ذكره باللفظ الواحد الصريح أولى : لأنه أجزوا وأظهر في الإفادة
 وذلك اللفظ الواحد هو « الاستبرق » . فإن أراد الفصيح أن
 يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه : لأن ما يقوم
 مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة . ولا يجد العربي لفظاً
 واحداً يدل عليه : لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من
 الفرس . ولم يكن لهم بها عهد . ولا وُضع في اللغة العربية للدباج
 الثخين إسم . وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم . واستغنوا به عن
 الوضع . لقلة وجوده عندهم . ونزرة تلفظهم به . وإِما أن يذكره
 بلفظين فأكثر . ويكون حينئذ قد أُخلّ بالبلاغة : لأن ذكر
 لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ - تطويل . فعلم بهذا أن لفظ

«استبرق» يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه . ولا يجد ما
يقوم مقامه . وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى .

طائفتمن معرب كلام

الفصحاء

وقد مشى كبار البلغاء والكتاب على سنن القرآن الحكيم
في استعمال الكلمات الأعجمية المعربة في كلامهم مع إمكان أن
يجدوا أو يشنقوا لها مرادفاً في اللغة العربية : قال عدي بن زيد
الشاعر الجاهلي الكبير من قصيدة

(أرقت لمكفهرّ بات فيه بوارق يعتلين رؤوس شيب)

(تظلّ المشرفية في ذراه ويجلو صفح «دخدار» قشيب)

يقول إنه غلب عليه الأرق لرؤيته في السماء سحاباً أسود .

وكانت البروق نتهوى في رؤوس ذلك السحاب وهي بيضاء كأنها

شائبة . ثم شبه البروق تشبيهاً آخر فقال هي كسيوف مشرفية

تومض في أعالي السحاب . ورجع إلى تشبيه السحاب فقال

إنه يجلو ويبدى للناظر إليه صفحات ثوب مصون جديد .
 فدخار كلمة معربة عن الفارسية وهي بمعنى ثوب مصون .
 وأصلها « تخت دار » وتخت بالفارسية الوعاء تصان فيه الثياب
 وهو الذي يسمى في العربية صوان وصيان وعيبة . و « دار »
 أداة نسبة في الفارسية كهي في « دقردار » . كأنه يقول
 ويجلو ذلك السحاب صفح ذي صوان أي صفح ثوب مصون .
 وروى أبو عبيدة

قد علمت فارس وحمير والأعراب بالدشت أيكم نزلا .
 الدشت فارسي معرب . ومعناه الصحراء . ودشت قفجاق
 اسم لصحراء كبيرة في بلاد الترك الأصلية . وقال امرئ القيس .
 « ترائبها مصقولة كالسجنجل » والسجنجل المرآة وهي معربة .
 وقال آخر .

(ودوية قفر تمشى نعاها كمشي النصارى في خفاف الأرنديج)
 الأرنديج كلمة معربة . وهي اسم لضرب من الجلد أسود
 اللون أو المدبوغ بالعفص . وكان من عادة النصارى أن يتخذوا

ذلك الضرب من النعال . فالشاعر يصف ظباء الدوية وهي الفلاة
بأن مشيها باظلافها السوداء كمشي النصارى في خفافهم السود
وقال آخر

(إنما الذلفاء ياقوتة أُخرجت من كيس دهقان)

والدهقان فارسية الأصل ومعناها رئيس القرية وهو ما
يسمى في مصر بالعمدة . وقال ابن قيس الرقيات :

(تكنه خرقه الدرفس من الشمس كليث يفرج الأجماء)

« الدرفس » على وزن قمطر العلم الكبير . وهو فارسي
معرب درفش بالشين المعجمة . وأصله إسم لواء كبير خاص .
وكان ذلك اللواء مقدساً في نظر الفرس . ويسمونه « درفش كاويان »
وكاويان إسم حداد . ولهذا الحداد ولوائه قصة في تاريخ الفرس
القديم لا يجمل ذكرها في هذا المحل . وقد عني البحري هذا العلم
في قوله من قصيدته السينية التي وصف بها إيوان كسرى
والصور التي فيه :

(والمنايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس)

وقال أحد أحفاد المهلب يفخر به

(أنا ابن المهلب ما فوق ذا لعالٍ إلى شرفٍ مرتقي)

قريع العراق وبطريقهم وعزهم المرتجي المتقي)

والبطريق معرب . وأصله القائد الكبير من قواد الروم

وقال المتنبي

(بياض وجهه يريك الشمس حالكة

ودرُّ لفظ يريك الدرُّ مشخلاً

والمشخَلب كلمة معربة . ومعناها أردأ الخرز .

وقد استعمل ابن خلدون - وكفى به حجة فيما يحسن

بلاغة ومالا يحسن - كلمة برنامج وغيرها من كلمات الاعاجم

في مقدمته المشهورة . وبرنامج يقرب معناها من معنى فهرست

ونموذج الفارسيين . وشدَّ ما استعملهما كبار الكتاب وبلغاء

المصنفين في كتاباتهم . وتستعمل في معناها من العربية كلمة

« مثال » . وربما كانت كلمة « بروجرام » الافرنكية التي

عربها المعاصرون مما يعطر معنى برنامج ونموذج . ومعناها في

الأصل بيان وعلان .

وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين « وحين صار
 المال في أيديهما قصداً بعض الكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتها »
 فقوله الكرابج جمع كرابج على وزن برثن . وهو فارسي معرب
 ومعناه الحانوت أو المتاع الذي يكون في حانوت البقال من
 خبز وجبن وسمن . والظاهر من كلام الجاحظ أنه يعني
 المعنى الأول وهو الحانوت . والجاحظ لم يفرقاً بين الكرابج
 الأعجمية والدكاكين والحوانيت العربية . على أن كلمة الحوانيت
 نفسها سريانية لا عربية . ولم يحسب أن الكرابج مخلة بفصاحة
 كلامه . ولذلك استعملها ولم يخش عارها . والفقرة المذكورة من
 جملة قصة عن اعرابيين كانا يمشيان في بعض أسواق المدن .
 وكان إسم أحدهما حيدان . فأوطأ فارس دابته إصبع حيدان
 فقطعها . فأخذ الأعرابيان بتلابيب الفارس حتى أدى إليهما أرش
 الأصبغ . فذهبا بالمال إلى بعض « الكرابج » ولما أكل رفيق
 حيدان وشبع جعل يتغنى ويقول

(فلا غرث ما كان في الناس كربيح)

(وما بقيت في رجل حيدان إصبع)

الغرث الجوع . والكربح المحانوت كما قلنا . فانظر إلى
الأعرابي كيف استعمل الكربح المعربة ولم تأنف عروبتيه من
عجمتها . ومثله في ذلك أبو الغطمش الخنفي فقد قال
يهجو امرأته

(منيت بزمرودة كالعصا الصّ وأخبث من كندش)
(كأن الثاليل في وجهها إذا أسفرت بدد الكشمش)

فقوله « زمرودة » كلمة فارسية مركبة من كلمتين « زن »
مرأة و « مرد » رجل : ركبنا وجعلنا كلمة واحدة . توصف بها
المرأة المترجلة . وقد أصبحت كالكلمات العربية . ولذلك أجرى
عليها أبو الغطمش حكمها : فأدخل عليها تاء التأنيث التي تفيد
معنى الوحدة . ولعل الوحدة هي المرادة هنا : يقول أبو الغطمش إنه
ابتلى بامرأة مترجلة أشدّ خبثاً . وأكثر لصوصية من كندش .
وكندش أحد لصوص العرب . وهو أيضاً اسم للعقّاق الطائر المشهور

بالسرقة والخبث . والكشمش في البيت الثاني كلمة معربة أيضاً . وتطلق
على ضرب من الغنم أو الزبيب صغير الحب لا عجم له . ويسمى
في بلاد الشام اشليش . ولعله محرف عن كشمش . ويسمونه في مصر
الزبيب البناتي . وقال آخر يصف ديوكا

(كان أعرافها من فوقها شرفٌ
حمرٌ بنين على بعض الجواسيق)

(كأنها البست أو البست فنكا فقلصت من حواشيه على السوق)

والجواسيق جمع جوسق وهو القصر . ويسمى اليوم الكوشك
وهو أصله الفارسي . والفنك ضرب فاخر من الفراء . وكلاتها
أعجميتان . ووصف آخر امرأة فقال :

(ذقن ناقص وأنف غليظ وجبين كساجة القسطار)

الساجة القطعة من خشب الساج . والقسطار الصراف
الذي ينتقد الدراهم . وهي كلمة معربة دخيلة . ومثل كلمة الكرابج
التي ذكرها الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » كثير في كلامه
وكتبه : من ذلك قوله في كتابه « البخلاء » عن لسان بن خيل
« اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني . فأمرني قوم
بالبانيد السكري . وأشار عليَّ آخرون بالحريرة نتخذ من
الشاهنج والسكر ودهن اللوز وأشبه ذلك . فاستثقلت المؤونة .

وكرهت الكلفة . ورجوت العافية . فبينما أنا أدافع الأيام . إذ
قال لي بعض الموقنين : عليك بماء النخالة فاحسه (إشربه)
حاراً . فحسوت . فاذا هو طيب « فقوله الفائز
والشاهنج والسكر واللوز كلها كلمات أعجمية عربوها ولم يأنف
أ كبر بليغ قام في العرب من استعمالها وإيداعها كتبه : ذلك
لأن تلك الكلمات المعربة بعد أن تعارفوا عليها وتداولوها بينهم
وصقلت ألسنتهم بالاستعمال - أصبحت عربية كسائر الكلام
العربي . ويشترط لتناولها وصحة استعمالها ما يشترط فيه هو مما
ذكرناه لك آنفاً : خذ مثلاً كلمة الجوالق فانها معربة عن
« چوال » بالجميم الفارسية . والعامية نقول له شوال بالشين
العربية . ويسمى في الفصح « غرارة » والغرارة مهما كانت
فصيحة صحيحة النسب فانها لا تضار كلمة الجوالق المعربة . ولا
تقضى عليها . بل أن منزلتهما في نفوس الفصحاء واحدة . وحظها
في الاستعمال سواء : قال الشاعر يصف امرأة

(وهي شوهاء كالجوالق فوهاً مستجاف يضل فيه الشكيم)
يقول إنها دمية . وفمها كالغرارة (الزكية) وهو مستجاف أي
متسع . مشتق من الجوف . والشكيم الحديدية تكون في فم

الفرس .

وقال ابو الفتح البستي

لا تترك اذا اهديت نحوك من علومك الغرأ وادابك النتفا

فقيم الباغ قد يهدي لملكه يرسم خدمته من باغه النتفا

والباغ ليست عربية وانما هي تركية او فارسية ويلحق الا تراك

بها أداة التصغير «چه» فيقولون «بغچه» اي حديقة أو بستان صغير

وقد استعمل ابن المقفع في كتابه كلبلة ودمنة كثيراً من

الكلمات الأعجمية مثل «بازيار» مربي البزاة . و «سرجين»

انزبل . «وفيج» رسول السلطان القادم على رجليه . و

«أسورة» جمع أسوار لمن يحسن الرمي . وكل هذه الكلمات

فارسية . وكلمة «نيلوفر» اسم للزهر المعروف وهي رومية .

ومن الغريب أن ابن سينا كان حريصاً على الكلمات

العلمية الأعجمية والاحتفاظ بأصلها ولو ترجمها إلى العربية :

كقوله في قانونه «فصل في قملة التسر . المسماة دذه بالفارسية

وصملوك باليونانية . وطفانوس بالهندية»

ومن تصفح المعاجم ودواوين اللغة العربية وجد فيها كثيراً

من المواد تحسبها لأول وهلة عربية لكثرة ما تداولتها السنة

العرب . وسالت في مسایل كلامهم . ثم لا تلبث أن تجدها
 أَعْجَمِيَّة : ففي مادة « طرز » يقولون - الطراز علم الثوب والجيد من
 كل شيء . وهو فارسي معرب عن « تراز » بالتاء . ومعناه
 بالفارسية التقدير السنوي . فجعلت التاء طاءً . وقد جاء في الشعر
 العربي . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه
 (بيض الوجوه كريمةً أحسابهم شُمَّ الأنوف من الطراز الأَوَّل)
 وفي مادة « طنز » الطنز السخرية . وطنز به سخر وكلمة
 باستهزاء فهو طنَّاز . قال الجوهري أظنه مولداً أو معرباً . وفي
 نوادر الأعراب « هؤلاء قوم مطنزة » إذا كانوا لا خير فيهم .
 هينة أنفسهم عليهم . والعامَّة اليوم يقولون « مسخرة » في مقام
 « مطنزة » . وهي هي وزناً ومعنى .

ويقولون في مادة « بوص » البوصي ضرب من سفن البحر
 وهي كلمة معربة قال الأعشى .

(مثل الفرائي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر)

ويقولون « دخريص » القميص - ما يوصل به بدنه
 ليتسع . وهو فارسي معرب . جمعه دخاريص ودخارص . قال

الأعشى « كما زدت في عرض القميص » الدخارصا « والدخريص
 في العربية البنية . جمعها بنايق . والقميص نفسه معرب لاعربي .
 ويقولون « الأصطفلية » على وزن « جردحلية » الجزرة التي
 تؤكل . وهو فارسي معرب . قال معاوية ابن أبي سفيان في كتاب
 له إلى ملك الروم « لأنزِعَنَّكَ من ملكك نزع الاصطفلية .
 ولأردنَّكَ أريساً من الأريسة ترعى الدوابل » الدوابل الخنايص
 وهي صغار الخنازير . واحدها دويل . خصها بالذكر لأن راعيها
 أوضع من راعي الكبار . أما الأريس على وزن أمير فهو لفظ
 دخيل . ومعناه في لغة أهل الشام الأكار . وهو الفلاح أو الحرث
 ويجمع على أريسة . ويروى إريساً على وزن سَكَيْت . وجمعه
 خبئذ أراسة . وقد وردت هذه الكلمة على اختلاف روايتها
 بصيغة جمع المذكر السالم في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
 إلى هرقل ملك الروم « فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَاثْمَاعِيكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ »
 جمع اريس بالتشديد والتخفيف . وقال بعض شراح الحديث
 إن الأريسيين نسبة إلى « الأريوسية » وهي طائفة من طوائف

النصارى . أقول إذا كان ذلك كذلك فأول ما يقع في الخيال
 أن أتباع هذه الطائفة هم الأريوسيون الذين ينتمون إلى
 « أريوس » وهو الذي قال بالوحدانية . وأنكر الوهية المسيح .
 ومن أجل قوله هذا عقد أول مجمع مسيحي . فقرر عقيدة
 التثليث . وعمل على نشرها . وحمل الكافة عليها . وحكم على
 أريوس بالهرطقة . وهي ما يعبر عنه المسلمون بالزندقة .

وهكذا ترى في الحديث وأقوال فصحاء العرب جاهلية
 وإسلاماً كلمات كثيرة . تحسبها عربية . وليست سوى أعجمية
 تسربت إلى السنة أهل اللغة بواسطة المعاملة والمخالطة . كما تسرب
 إلينا في هذا العصر كثير من الكلمات الإفرنجية . ثم تصقلها
 السنن . وتألفها آذاننا . وتشيع بيننا . فلا نعود نتوقف في
 فهمها . ومن الجمود والمكابرة أن نصادر تلك الكلمات
 ونحاربها بكل قوة لدينا . مما لم يفعله أجدادنا الأولون . بل
 كانوا يرحبون بأمثال تلك الكلمات الدخيلة في لغتهم .
 كما يرحبون بالطوائف الداخلة في ملتهم ووطى جنسيتهم .

المولد

يعنون بالمؤلِّد ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام
 وإنما استعمله المولدون وجرّوا عليه في منشورهم ومنظومهم .
 والمولدون ليسوا من أهل اللغة الذين يحتاج بهم في إثبات كلِّها
 وصحة تراكيبها . ولا يحتاج في ذلك إلا بكلام الجاهلي أو
 المخضرم الذي عاش في الجاهلية والإسلام كليد الشاعر
 الذي يقول

(ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف ليدي)
 سمي مخضرمًا تشبهاً له بالناقة المخضرمة . وهي التي قطع
 طرف أذنها . والمخضرم قد اقتطع طرف من عمره : لأن عمر
 الشرك لا اعتداد به .

هاتان الطبقتان : الجاهليون والمخضرمون هم المحجة في اللغة .
 أما الطبقة الثالثة وهم المولدون الذين وُلِدوا وعاشوا في الإسلام
 فإذا نطقوا بكلمة . أو أتوا بتركيب لم يعرفه الجاهليون . ولا

المخضرمون قيل له مولد . فلا يحتج به . ولا يقاس عليه . وكثير من
الكلمات تدور على السنة الفصحاء . فتحسب فصيحة وهي مولدة
مثل إكته الشيء إذا عرف كنهه وحقيقته . ويرجع التوليد
في الكلمات المولدة إلى ثلاثة طرق (١) طريق الاشتقاق
(٢) طريق التعريب (٣) طريق الاستعمال التشبيهي :

« الأول » أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية
يعرفها أهل اللسان لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ولم يشنقوها .
مثال ذلك كلمة « فسقية » للحوض الصغير الذي له أنبوبة
في وسطه ينبثق منها الماء ويخرج بقوة . وقد اشتق لها هذا
الاسم من مادة الفسق . وهو في اللغة بمعنى الخروج . ومنه سمي
الفاسق فاسقاً لأنه خارج من طاعة الله . وسميت الفسقية
بذلك لأن الماء يخرج منها . فمادة الفسق عربية . وأما ما
اشتق منها أعني الفسقية فمولد لا يعرفه العرب .

وقال بعض الفضلاء إن الفسقية لفظة لاتينية أصلها
فسقينا « Fiscina » فتكون مولدة بطريق التعريب . لا بطريق

الاشتقاق . ومن المولد كلمة « عرقية » لما يلبس على الرأس تحت
الطربوش وقاية له من العرق . ويمكن أن تكون منسوبة إلى العراق
حيث اتخذت أو اصطنعت أولاً . كما سما الكوفية كوفية نسبة
إلى بلدة الكوفة .

ومن المولد الاشتقاقات كلمة المخزقة . بمعنى اللعب والمزاج . مشتق
من المخراق . وهو منديل يلف ويلعب به . فالمخراق يعرفه العرب
وأما المخزقة فلا يعرفونها . وإنما هي ما استحدثه المولدون . ومنه
« المزورة » مرقة تطبخ للمريض خالية من الأدهان . وهي مشتقة
من مادة الزور . وهو الكذب والبهتان : لأن تلك المرقة تشبه الطعام
وليس هي بطعام . ومنه « ماهية » الشيء : يعنون كنهه وحقيقته
مشتق « من ماهو » : الأصل عربي . أما الاشتقاق فمولد . ومنه
« صينية » للوعاء المعروف وهي - إن لم تكن منسوبة إلى
الصين - فمشتقة من مادة الصون لأنه يصان ما يوضع فيها .
والعرب لا تعرف الكلمة . وإنما تعرف الصوان والصيان . لما يصان
فيه الثوب .

ومنه «مقطف» للوعاء الذي يوضع فيه ما يقطف من
 من الفواكه والأثمار لا تعرفه العرب . وإنما كانوا يعرفون القطف .
 ومنه «مبوسر» لمن كان به بواسير . المادة معروفة عند أهل اللغة
 لكن اشتقاق هذه الصيغة مجهول لديهم . وهم إنما يسمونه
 مبسوراً . ومنه «بارية» للحصير مولدة . والعرب تعرف مادتها
 على غير هذه الصورة . فيسمون الحصير «باري» و«بوري» .
 ومنه «بارود» للمادة الملتهبة المعروفة . مشتقة من مادة
 البرادة . وهي السحالة التي تخرج بسبب حرك المبرد . سمي البارود
 باروداً لشبهه بها . ومن المولد كلمة «تلاشي» نحتوها من
 لاشيء . الأصل عربي . والاشتقاق مولد . ومنه «غيظ» من مادة
 الغائط والغوطة . وهي الأرض المنخفضة . فالغيظ ليست من كلام
 العرب . وإنما هي من صنيع المولدين ومشتقاتهم . ومن ذلك كلمة
 «العائلة» . المادة عربية . أما هذه الصيغة بهذا المعنى فلم تكن
 معروفة للعرب . ومن ذلك قولهم لمن مارس الشعر وحذق
 العلوم العربية وأخبار العرب «أديب» وأطلقوا على علموه

هذه « علوم الأدب » . هذا الاشتقاق لا تعرفه العرب بهذا
 المعنى . وإن كان الأدب معروفاً عندهم . ومن مواد لغتهم
 ويريدون به حسن الطباع ومكارم الاخلاق . ومن المولد
 الاشتقائي كلمة « عربية » وهو اسم لمقعد ذي عجلات يسير
 بواسطة جراددواب له . المادة عربية . أما الاشتقاق والصفة
 فلا يعرفهما العرب . وإنما هو من صنيع المولدين . ولما ذا سموها
 عربية ؟ كان أهل الجزيرة يطلقون اسم العربية على ضرب من
 سفنهم يجري في دجلة بواسطة دواب يشبه الرحى يدور
 بقوة الماء الجاري . فلعل اسم عربية الدواب مقتبس من اسم
 عربية الماء هذه . ومن معاني العربية في اللغة النهر الشديد
 الجرية : فقد يقال إن عربية الدواب سميت بالعربية تشبيهاً لها
 بذلك النهر . واعلم أن مادة « عرب » ومقلوبها برع وعبر وبعر
 ورعب كلها تدل على الانتقال من مكان إلى مكان أو من
 حالة إلى حالة . هذا الذي يعرفه العرب . ولما عرف المولدون
 العربية . ورأوها تسير وتنتقل من مكان إلى آخر اشتقوا لها من

الباعة يريدون القاء الفال في الخيال . فيوهمون أن عصير الليمون
الذي يبيعونه كالبازهر : في أن كلا منهما ترياق للسموم وأنه
ناجع في الشفاء . من الأدواء والأسواء .

« واثالث » من الكلمات المولدة ما استعمله المولدون
على طريق التشبيه والكناية . وقد سميت مولداً بطريق الاستعمال
التشبيهي لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقاً . ولم ينقل عن
أصل أعجمي تعريباً . وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة
يستعملونه في معنى . ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر
واستعملوه فيه . لما لاحظوه من وجود الشبه بين المنقول والمنقول
إليه تارة . ولقصد الكناية تارة أخرى : مثاله « القطر » كان
العرب يستعملونه في معنى المطر . أما المولدون فانهم استعملوه
في هذا المعنى وفي السكر المذاب والمغلي على النار . وهذا
الاستعمال الأخير لم يعرفه العرب . وتوليدهم لم يكن بطريق
الاشتقاق . ولا بطريق التعريب . وإنما كان بطريق النقل
التشبيهي : أي إن ذلك السكر يحكي قطر السماء . في الصفاء والالاء .

ومن هذا القبيل كلمة «قطائف» جمع قطيفة وهي
 دثار مخمل . هذا ما تعرفه العرب . أما المولدون فلما رأوا
 ذلك الضرب من الخبز الذي يصنعون منه نوعاً من الحلوى -
 مشابهاً لثوب القطيفة في خمله ولينه سموه قطائف . فالتقطائف
 بهذا المعنى مولد .

ومن هذا النوع قولهم «منخطف اللون» لمن تغير لونه
 بسرعة . فكان كأنه خطفه خاطف . والعرب لم تقله وإنما ولده
 المولدون . ويشبه أن يكون من هذا الضرب قولهم «ملائكة
 الأرض» يعنون بهم أهل العراق اللطيفم وظرفهم . قال الشاعر
 (ملائكة الأرض أهل العرا ق وأهل الشام شياطينها)
 العرب لم تعرف هذا الاستعمال . وإنما أبدعه المولدون .
 ويشبه هذا تسمية القاضي الفاضل لحمام الزاجل - الذي يأتي
 الملوك بالرسائل وأخبار الأقاليم - ملائكة الملوك .

وإذا عددنا أمثال هذين التركيبين في المولد فالمولد لا
 يحد . ولا ينفد له عد . كما لا يخفى على من كان له حظ من الاطلاع

على دواوين الشعر. وابتكارات المتأدين. ومن المولد بطريق
الاستعمال التشبيهي قولهم «تملق» الماء إذا جرى وسال. وهو في
هذا المعنى مولد لا يعرفه العرب. وإنما هم يقولون تملق الرجل
إذا تزلف وتودد وتلطف. ولما كانت حالة الماء في سيلانه
تحكي حالة المتودد المتلطف سمي المولدون سيلانه تملقاً
قال الأندلسي :

(وكان بمصر السحر قد ما فأصبحت وأسحارها أشجارها نترق)
(ويعجبني منها تملق أهلها وقد زاد حتى ماؤها يتملق)

ومن ذلك إطلاقهم «بغلات» على ضرب من جوارى
الريق تلتج بين جنسين: الصقالبة وجنس آخر. وهي مما يتجر
به قديماً في مصر. وتسمى الواحدة منها بغلة. تشبيهاً لها بالبغلة
التي تركب: لأن كلاهما متولد بين جنسين. وذكروا أن
بعضهم سمع آخر يقول «أريد أن أشترى بغلة أطؤها». .
فاستحمله وحكى قوله لا آخر. فقال له «عافاك الله ما منا إلا
من يسوغ له أن يفعل فعله». فاستغرب الأمر وسأل عن مغزاه

ففسره له .

وكلمة « بدري » كان العرب يستعملونها في الغيث
يهطل قبل فصل الشتاء : يقولون غيث بدري . ثم استعمله
أهل مصر في كل شيء حدث قبل أوانه حتى الوقت
والفاكهة . ويقولون لمن أراد الانصراف « بدري » أي لم يحن
وقت الانصراف .

ومنه قولهم للنمام الذي ينقل الحديث « آذان الحيطان »
ويقولون « إن للحيطان آذاناً » . وما نقله العرب عن أصله
واستعملوه في معنى كنائي قولهم « أبناء السكك » و « أبناء
الدهاليز » و « تريية القاضي » يريدون بذلك أولاد الزنا
وأراذل الناس وخشارتهم . وكلمة قرنان لمن لا يغار على
أهله مأخوذ من مادة « القرن » : إشارة إلى أنه حيوان
يصلح أن يكون له قرنان . والعرب لا تعرف شيئاً من ذلك . وإنما
هو من مواضع المولدين واستعمالهم التي اعتمدوا فيها
التعريض والكناية .

و«جيب» القميص طوقه . حيث يدخل الرأس . واستعماله فيما
 يكون على جنابتي الثوب حيث يضع المرء دراهمه وأشياءه مولد
 لم يعرفه العرب .

وفي الكلمات التي أحدثها المولدون ما كان طريق إحداثه
 التحريف عن أصله العربي الصحيح : كالست للمرأة . محرف عن
 سيدة . وكالسبت المحرف عن سفت . قال في القاموس السفت وعاء
 كالجوالق (الزكبية) أو كالفقة . والعامية في مصر يستعملون السبت
 فيما يشبه الأخير . ويراد بالسبت في بلاد الشام الصندوق من
 جلد متين يضع فيه المسافر أمتعته وثيابه . ويسميه المصريون
 شنطة . ولعل العيبة عند العرب بمعنى ذلك : فقد قالوا في
 تفسيرها إنها « مستودع الثياب » . على أن السفت بالفاء كانوا
 يستعملونه قديماً في الوعاء الذي يستودع الطيب والحلي والذخائر
 النفيسة . لا الأشياء التافهة الحقيمة . وقد قال لي بعض علماء
 الفرس أن كلمة « سبت » بالباء فارسية الأصل . وليست محرفة عن
 سفت العربية . وقال إن أصلها الفارسي (سبد) بالدال . ومعناه

عندهم وعاء يتخذ من أغصان الأشجار أو دقاق العيدان : فالسبت
 معرّب سبّد . لا محرف سفظ . ولعل هذا هو الأصح .
 وبالجملة فإن المولّد وضروبه وشعب استعماله كثيرة
 جداً . لا يمكن الإحاطة بها . أو تصويرها بالذهن القارىء . ما لم يعرض
 عليه جميع ما نظمه المولدون وكتبوه . فإنه لا تكاد تخلو قصيدة
 من منظومهم . ولا مقالة من منشورهم — من كلمة أو كلمات مولدة
 اشتقاقاً أو تعريباً . ومن تركيب تشبيهي أو كنائي اصطلاحاً عليه
 وزينوا كلامهم به . ولم يعرفه أهل اللغة . ولم ينتبهوا إليه .

المحدث أو العامي

واعلم ان ما سميناه مولداً كان يحسن منا أن نميز بينه . ونقسمه
 الى قسمين مولد ومحدث . تبعاً لانقسام الذين وجدوا بعد الاسلام
 الى مولدين ومحدثين : فالمولدون من كانوا في صدر الاسلام .
 والمحدثون من عاشوا بعدهم الى عصورنا هذه . وما أحدثه هؤلاء

المحدثون في كلامهم من الكلمات والتراكيب والاصطلاحات
 كان يسميه الادباء «محدثاً» . تمييزاً له عن المولد . ونسبناه نحن
 اليوم «عامياً» . غير أن تتبع الكلمات التي نشأت في الاسلام
 وتمييزها وإرجاع بعضها الى زمن الصدر الاول وبعضها الى
 الزمن بعده - من الصعوبة بمكان . وهو مما يحتاج الى بحث
 وتنقيب . وقما يمكن للفرد أن يستقل بهذا العمل . ويتيسر له
 الاحاطة به . وانما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية التي تخدم اللغة
 وآدابها . وتبحث في موادها وجميع مفرداتها أصلية أو دخيلة . بحثاً
 تحليلياً تاريخياً . فتعرف معدن الكلمة . ومن آية لغة نبتت . والزمن
 الذي نشأت فيه . ثم كيف جعلت تنتقل من طور الى طور
 في الاشتقاق والصيغة والاستعمال . حتى وصلت الى آخر
 عصورها .

وما قلناه في المولد من أن طريقة توليده تكون تارة
 الاشتقاق . وطوراً التعريب . وآونة الاستعمال التشبيهي أو الكنائي
 يقال مثله في المحدث أو العامي . فكم من كلمة عامية تسمعها تدور
 على السنة الخاصة بله العامة . ويكون أصلها من اللغات الأعجمية .
 أو تكون مشتقة من أصل عربي فتصرفوا فيها . وغيروا شكلها

وأبقوها في معناها . أو نقلوها الى معنى آخر بطريق التشبيه أو
الكناية . والامثلة على ذلك كثيرة جدا . لا نتكلف عناء ذكر
شيء منها . وإنما نحيل القاريء الفطن على مجالات العامة . وما
يسمى من أفواههم . وإعمال ذهنه في فهم كلماتهم وتراكيبهم . فإنه
يجد فيها أمثلة لما ذكرناه من أحوال الكلمات العامية التي تماثل
فيها أحوال الكلمات المولدة

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة
العربية . وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قسمان قسم عربي
محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة
أنفسهم الى لغتهم قبل الاسلام كسندس وإبريق . ويسمى في
الاصطلاح معرباً . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الاسلام
ويسمى مولداً . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين
ويسمى محدثاً أو عامياً . والطريقة في إحداث النوعين

الاخيرين - المولد والعامي - قد تكون الاشتقاق: كالعربة
والبارود والفسقية . وقد تكون التعريب: كالبوس والباذر
والماهية . وقد تكون التصرف في الاستعمال: بأن نستعمل الكلمة
على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب: كالقطر والقطائف .

والدخيل بانواعه الثلاثة لا يحطُّ من قدر الكلام العربي إذا
وقع فيه . وإن كان في أصله غير عربي: لما قدمناه من الأدلة على
ذلك عند الكلام على التعريب . والأدلة المذكورة تصالح ان تكون
مقدمات منطقية نتیجتها « أن الكلمات المعربة عربية أو بقوة
العربية » حتى لا يكون ثمَّ فرقٌ في صحة الاستعمال بينها وبين تلك
التي تكون عربية الاصل: بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة
« رصاص » الاعجمية المعربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة
« صرفان » العربية . وما يدرينا أن صرفان وأمثالها من
الانفاذ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا راحة فيها للاشتقاق
من مادة عربية - غير عربية في أصلها وإنما هي دخيلة .
وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلاً لا نزاع في صدق

دلالته : وهو أن علماء البلاغة أنفسهم حصرُوا شروط فصاحة
المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من ثنافر الحروف . ومن الغرابة . ومن
مخالفة القياس . ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربياً قحاً
لاشأبة فيه للعجمة .

إذا راعيت في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك -
خلوصها مما ذكره علماء البلاغة كان كلامك فصيح المفردات .
وعليك بعد ذلك أن تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء
في فصاحة الكلام وبلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك
فصيحاً بليغاً .

لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية
ما كان غريباً عن أفهام المخاطبين . أو مما تنبوعه اذواقهم . وثنجاني
طبائعهم . مثل أن تقول : « وكان الطُّهامة يعرفون ألوان الطعام
بالفقشليل » . والفقشليل كلمة معربة عن قفجليلز الاعجمية . ومعناها
المعرفة - كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية
المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول : « أتانا مختللاً

في مشيته . منفشلاً للحيته « تعني منفشاً لها . أو تقول « لحاه الله
 من رجل عفنحش « أي فظَّ جافي الطباع . ومن هذا القبيل
 الكلمات الانكليزية أو الألمانية مثلا التي تكون مخارج حروفها
 صعبة متنافرة . يتعدراً أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نعهد مثلها
 في مخارج لغتنا . حتى إذا اضطررنا إلى إدخال كلمة من هذا
 الصنف في لغتنا كان علينا حينئذ أن نُشَدِّبَها ونهذبها ونوفق
 بينها وبين أوزان لغتنا . ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . كي تواتينا
 ويسهل علينا النطق بها . وإلاَّ كان علينا أن نهجرها ونعدَّ
 الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما إذا تضمن كلمة متنافرة
 مثلها من الكلمات العربية الأصل كالهعخع وهو أسم نبات .
 قيل لأعرابي أين تركت ناقتك ؟ قال تركتها ترعى الهعخع .
 وكان نقول لآخر : إياك أن تزوج الهُمَّقَّة . بضم الهاء وتشديد الميم
 المفتوحة . تعني الحمقاء الورهاء .

واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان أصلها
 ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والأعيان . مثل

نرجس ولجام . وقسم مدلوله المعاني والأحداث . مثل البوس :
 فكلمات القسم الأول - إذا شاعت بيننا . وحلت في أسماعنا
 وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتنزهت عن أن تكون من
 « ألقاظ السفلة » كما سيجي في قول ابن المقفع - ينبغي أن
 يجوز لنا استعمالها وإدماجها في كلامنا : لأن الكلمة التي من
 هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا . أو لها مرادف
 مهجور . وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهراً . وعذرنا فيه
 مقبولاً . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور
 فيكون لنا الحق في أن نستعملها أيضاً اقتداءً بأهل اللغة أنفسهم
 الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية إلى مرادفاتهما من الكلمات
 المعربة الدخيلة . مثال ذلك كلمة « كوسج » الأعجمية فانهم لا
 يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلما تراهم يستعملون كلمة
 الأثط العربية . بل إذا وردت هذه في كلامهم فسروها
 بالكوسج . لكونها أشهر منها . وأعلق بأذهان الناس . كما يفسر شراح
 الحديث كلمتي « الدجر » و« اللبأ » العربيتين بكلمة اللوباء

الأعجمية العربية .

وقد كثر استعمال الدخيل والإِعراض عن الأصيل في
كلامهم كثرةً تشعر بأن هذا الصنيع طبيعيٌّ في اللغة . وضرورةٌ
لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسياً . لأهل اللغة من ورائه
غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم . وتسهيل أمرها على ممارسها .
هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والأعيان .
أما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والأحداث كاللبوس
فهذا ربما ضرراً الاستكثار منه فيما أظن : إذ يكون مدرجة
لضياع اللغة ومسسخها وتحويلها عن أصلها . وقلما تجد العرب
نقلوا إلى لغتهم فعلاً أو مصدرًا أو أسلوباً خاصاً من أساليب
كلام الأعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها .
وإن كان شيء من ذلك فهو قليل جداً : ككلمتي «الهرج»
و«النفاق» المحبشيتين .

وأكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في
زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في

زمن الجاهلية فلعله لم يتخطَّ القبائل التي عاشت مع الأعاجم
 وكثرا متزاجها بهم كغسان ولخم وجذام . ومثل هذا لا يصلح
 حجة للقياس والجواز العام . نعم إن اللغة بمجموعها جواهر
 وأحادا مأخوذة عن لغة أجمية كما أثبتناه في صدر هذا الكتاب .
 ولكن هذا في تحوّل اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في
 التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي
 كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها
 واستقلت بأصولها وقواعدها . فانهم إذ ذاك ما كانوا يرجعون
 في وضع كلمات الأحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم .
 وإنما يرجعون إلى فضل ذكائهم . وذلاقة لسانهم . وحسن
 طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي
 تجول في نفوسهم من الكلمات ما يغنيهم عن التطفل في ذلك
 على سواهم . أما الجواهر والأعيان فقد يتعذّر أو يتعسر عليهم أن
 يضعوا لها كلمات . بعد أن ضرب المستبضعون والتجار في طول
 جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار واللوييا والباذنجان

والكوب والايبريق والمسك والبنفسج والسندس والاستبرق
والفيروز والبلور واللجام والدائق والدرهم والدينار والعربون
إلى غير ذلك من أسماء الأدوات والخُرثى والماعون . وقد
ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء . وأعجزتهم كثرتها . فاضطروا
إلى أن يرحموا بها . ويلقوا جبلها على غارها . والفرق بين
استعمال الكلمات التي مدلولها عين وجوهر . وبين استعمال
تلك التي مدلولها معنى وحدث - يتجلى لك بهذين المثالين :
يستعمل المصريون مصدر « العشم » مكان « الأمل »
فيقولون عشمي كذا وأعشم كذا . وعندني أن استعمال هذه
الكلمة في مثل قولنا « نعشم للبلاد المصرية مستقبلاً سعيداً
لما نشاهده من نهضة أبنائها وثباتهم وشجاعتهم الأدبية » مخلّ
بفصاحة الكلام : ما دام أهل اللغة أنفسهم لم يستعملوا أمثالها من
الكلمات الأعجمية الدالة على المعاني والأحداث . وما دام
لديهم ما ينوب منابها . ويربو عليها فصاحة وعروبة مثل : أرجو
وأمل وأطمع وأتوقع وأنتظر وأتوسم وأترقب وأستشرف

وَأَطَاوِلٌ وَأَتَشَوِّفٌ . فَاسْتَعْمَلْنَا لِأَتَعَشْمِ وَإِعْرَاضِنَا عَنْ هَذَا الْمَنْهَلِ
 الْعَذْبِ عَقُوقَ لِلغَةِ وَعَدُولَ بِهَا عَنْ مَنَاهِجِ أَرْبَابِهَا
 وَأَسَالِيبِ أَصْحَابِهَا .

وَهُنَاكَ كَلِمَةٌ أُخْرَى مَوْلَدَةٌ يَسْتَعْمَلُهَا الْمَصْرِيُّونَ لِلدَّلَالَةِ
 عَلَى ذَاتٍ وَعَيْنٍ وَهِيَ «الْجِبْلَايَةُ» : الْجِبَلُ مَعْرُوفٌ . أَتَشَوُّهُ وَصَغْرُوهُ
 وَحَرَفُوهُ فَصَارَ جِبْلَايَةً . وَيُرِيدُونَ بِهَا الرِّبْوَةَ الصَّغِيرَةَ ثِقَامَ فِي
 الْمُنْتَزَهَاتِ . وَيَقْلُدُ بِهَا الْهَضَابَ وَالْأَكَامَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي تَكُونُ فِي
 الصَّحَارِيِّ وَالْفَلَوَاتِ . بِأَشْكَالِهَا وَنَخَارِيبِهَا وَتَضَارِيسِهَا وَمِيَاهِهَا
 الْمُتَقَاتِرَةَ مِنْهَا . وَمَا يَعْلُوهَا مِنْ نَبَاتَاتٍ . وَمَا يَتَكَوَّنُ تَحْتِهَا مِنْ كَهُوفٍ
 وَمَغَارَاتٍ . مِثْلَ جِبْلَايَاتِ حَدَائِقِ الْأَزْبُكِيَّةِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْجَيْزَةِ .
 فَقَدْ يَعْرُضُ لِلْكَاتِبِ أَنْ يَصِفَ تِلْكَ الْحَدَائِقَ وَمَا فِيهَا . وَيَجْرِي فِي
 وَصْفِهِ ذِكْرُ تِلْكَ الرِّوَابِيِّ . فَأَيُّ اسْمٍ يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَيْرَ الْاسْمِ الَّذِي
 اسْتَعْمَلَهُ النَّاسُ وَأَنْسَوُا بِهِ . وَكَانَ مَعْنَاهُ اسْرِعْ إِلَى نَفْسِهِمْ . أَعْنِي
 الْجِبْلَايَةَ ؟ إِنْ لِلْجِبَلِ الصَّغِيرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَسْمَاءٌ تُرْبِي عَلَى
 عَلَى الْأَرْبَعِينَ . وَمَهْمَا تَأَنَّقَ الْكَاتِبُ فِي تَخْيِيرِ اسْمٍ يَقُومُ مَقَامَ

اسمها المتعارف فلن يجيء ملائماً لنفوس المخاطبين . أو منطبقاً
على أذواقهم : فلولم نقل « ثم علونا الجبلية . وشاهدنا من عليها
غروب الشمس وراء شجيرات النخيل » - بل قلت « ثم علونا
التلة أو الكثيب أو الأكمة أو الراية أو الهضبة أو النجوة أو
النشز أو اليفاع أو القارة أو النبكة أو الفلحة أو الربوة أو الزبية
أو الريع أو الصمان أو القردد أو الجفجف أو الهوبج الخ الخ
لما كنت في تعبيرك هذا إلا معيماً على السامعين . حابساً نفوسهم
عن المضي في الفهم . حاملاً لهم على الاستفهام منك : أي شيء
هذا الجفجف والهوبج ؟ وهم إنما يعهدون في الحديقة جبلية
لا جفجفا ولا هوبجا . دع الجفجف والهوبج لمقال تنشئه في
وصف صحراء ليبيا أو حضرموت فتقول : « وكنا نرى الأطباء
تعلو الهوابج والكشبان . وكانت إذا أنستنا عن بعد نصت أعناقها
وولت هاربة » ولا يحسن منك أن تقول « وكانت الأطباء تعلو
التلال والجبلات » فان الجبلات هنا سخافة يتعوذ منها
الذوق والأدب .

ويسمُّون الوعاء يكون من قصبٍ أو عيدانٍ . يضعون فيه
 الفواكه والأثمار - سبتاً : فلو لم نقل « وكان السياح يرون في
 سكك القاهرة باعة العنب : يحمل أحدهم على رأسه « سبتة »
 وهو ينادي « جواهر يا عنب » - بل قلت « كان يحمل سفته »
 تعني سبتة . ذهاباً منك إلى أن سفت هي الأصل الصحيح
 واللفظ الفصح - كنت في ذلك مباحداً ومتنطعاً وقاطعاً على
 سامع كلامك حبل الفهم : لأن السامع الجاهل لا يفهم للسفت
 معنى . والعالم يعهد أهل الأدب إنما يستعملون السفت في الوعاء
 الذي تصان فيه الذخائر والأعلاق . لا الفواكه والأثمار .
 ولو سمع العربي من يقول للسفت « سبت » لتعلم منه . واستعمله في
 كلامه . من دون أن يجد في نفسه حرجاً . أو في لفته رطانة .
 ومهما حاولت أن نثيب السفت مناب السبت ففسرتها بها في
 كل كلام أو كتاب وردت فيه - لما أظقت ذلك . ولما تيسر
 لك . اللهم الا اذا أرسلت في المدائن حاشرين . يا تونك بالعامية
 والباعة والسوقة وأهل الأرياف والقرى العاملين في الحقول

والمزارع . ثم قمت فيهم خطيباً . فوعظت وأندرت . وأبرقت
وأرعدت وكلفتهم ان يسموا وعاءهم هذا سفطاً . ويدعوا كلمة سبت .
ولا أظنك فاعلاً . ولا أظنهم فاعلين

ولو كنت في بلاد يسمي أهلها السبت سلة أو وقفة أو
قرطلاً أو زنبلاً لكان من مقتضى الحال والفصاحة أن تسميها
في كتابك أو خطابك بما يسمونها به . وتعديل عن تسميتها بمثل
« دوخلة » و « قوصرة » و « مكتل » و « صن » وكلها بمعنى الوعاء من
خوص في اللغة الفصحى . وذلك لان مدار الفصاحة على الافصح
عما في نفسك . ومدار البلاغة البلاغ بما في نفسك الى نفس مخاطبك
بحيث يحيك المعنى في نفسه مثلما حاك في نفسك . نعم إن من
الفصاحة أن تسمى البطيخ بطيخاً في مصر . وحبجياً في الحجاز . وحبساً
في شمالي سوريا . وخربزا في البلاد التي يسميه أهلها به . ولو لم
تفعل كنت ملغزاً أو محاجياً . وقد يكون للكلمة المعربة وقع
في نفوس المخاطبين وتأثير لا يكون للكلمة بمعناها في اللغة
الصحيحة : يعرف ذلك كبار الكتاب . وشد ما توخوه في

كتاباتهم : قال الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده في ترجمة
 رسالة السيد « جمال الدين » في الرد على الدهر بين - بصدد التشنيع
 على طبعي الهندي « ولا يظن ظان انما نقصد من مقالنا هذا
 تشنيعاً بهؤلاء البياجوات الهنديين » ثم قال الاستاذ المترجم في
 تفسير كلمة البياجو « هو اسم ايطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد
 الماهر في اللعب بمركات غير متسقة لأضحاك الناظرين . ويعبر
 عنه في العربية بالخلاليس . وأصله الشيء لا نظام له . والطبيعيون
 في الهند يمثلون أحوال الدهر بين في أوروبا تمثيلاً مضحكاً »
 فانظر كيف أن إمامي البلاغة في هذا العصر استعملوا كلمة
 « البياجو » وعدلاً عن كلمة « الخلاليس » : لما يعلمانه من أن التأثير
 والتنفير يكون بالكلمة الاولى أتم وأشد منه بالكلمة الثانية . بقي
 علينا أمر لا يصح إغفاله : وهو أن يقال : سلمنا أن الكلمات الدخيلة
 الدالة على الأحداث والمعاني لا تعتبر فصيحة . ولا يكون استعمالها من
 الحسن في شيء . وذلك لأن في اللغة ما يسد مسدّها كما مر في
 كلمتي العشم والبوس . لكن ليست كلمات الأحداث والمعاني

كلها بحيث ذكرت ووصفت . ما ذكرته انما هو في الأحداث
 والمعاني التي ترجع الى قوى النفس ومدركاتها . أو الى أعمال
 الجسم التي تتعلق بشيء في الخارج يعهده أهل اللغة . أو الى ظواهر
 تقع في الكون وقد شاهدتها الواضعون وأحسوا بها - فان لديهم من
 الالفاظ والتراكيب الدالة على كل ذلك ما يفي بالغرض . ويسدُّ
 الحاجة . فلا يجوز أن ندخل إلى لغتنا من لغة أجنبية كلمة
 بمعنى الأمل مثلاً وفي لغتنا مثل ما سردنا لك أنفاً من الكلمات . ولا أن
 ندخل الى لغتنا كلمة بمعنى الصعود وفي لغتنا مثل علا وصعد
 وتسمن وتسلق وتسور وتوقل . ولا كلمة بمعنى غروب الشمس
 وفي لغتنا مثل غابت وغربت ووجبت وأفلت وغارت وجنحت
 وآبت . ثم نقول : ولكن هناك اختراعات أوجدتها قوم من
 غير أبناء لغتنا . ووضعوا من كلمات الأحداث والمعاني التي تشتقُّ
 ويشتق منها ما يتعلق باستعمال تلك الاختراعات . ويدل على طرق
 الانتفاع بها : اخترعوا الأوتوموبيل مثلاً . وسموه بهذا الاسم . فنحن
 معشر العرب نأخذُه ونأخذُ اسمه . كما أخذ أسلافنا المنجنيق واسمهُ

من لغة اليونان. ومخترعوا الاوتوموبيل أنفسهم وضعوا كلمات آخر
 للدلالة على أفعال وأعمال تتعلق به. مما لا يمكن أن يكون موجوداً
 في لغتنا. مادام الأوتوموبيل نفسه ما كان معروفاً لدى أهلها. وواضعي
 كلماتها. ومثل ذلك يقال في جميع الأدوات والآلات المخترعة
 التي لها أفعال خاصة بها. يزاولها المرء عند استعمالها. والانتفاع بها
 فما نحن صانعون بأزاء ذلك؟ هل نأخذ اسم الاوتوموبيل مثلاً
 ونهمل الأفعال المتعلقة به فلا نزاولها؟ وهذا لا يمكن ولا يتأتى
 لنا. أو إننا نشق من أصول لغتنا كلمات لتلك الأفعال؟
 وهذا في غالب الظن غير مقدور لنا أيضاً. أو إننا نكل الأمر
 لطبيعة الناس. والمستعملين لذلك الاختراع. فنتابعهم فيما اصطلموا
 عليه، ونقول إذا استخدم أحد منا التلغراف في مخابرة آخر—
 «ضرب فلانا تلغرافاً الى فلان» أو «تال فلان فلاناً» يعنون
 خابره بالتلغراف. وفعل «تال» منحوت من اسم التلغراف. كما
 اصطلم على ذلك التجار في سوريا؟ أو إننا نأخذ كلمات
 الأحداث والأفعال نفسها التي نطق بها مخترعوا ذلك الشيء

فنتصرف فيها . ونشتق منها من الصيغ ما نحن في حاجة إليه :
فنشتق لسواق الأوتوموبيل اسماً من مادته فنقول : « أتم » أو
« تامل » مثلاً كما سمي العرب صاحب المنجنيق الذي يباشر الرمي
به « ناجق » اشتقاقاً من كلمة « منجنيق » الأعجمية .
هذا ما يمكن أن يورده المورد في مثل هذا المقام .
وليس لمثلي أن يبت الرأي فيه . لاسيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة
ووثباتها في هذا الموقف الهائل الذي تزدحم فيه اللغات الحية -
وانما أكل الحكم فيه الى الجمعيات اللغوية التي تتخض عنها
البلاد . ويتحفز الى إنشائها من فضلائنا أفراد .

الخاتمة

ومن أراد أن يكون على بصيرة من أمر الألفاظ مطلقاً
عربيةً أو دخيلة . ومن كيفية استعمالها . ومعرفة الفصيح من غير
الفصيح منها - فلا يكفي أن نقول له ما قاله علماء البلاغة من
أن فصاحة المفرد خلوصه من الامور الثلاثة التي مر ذكرها .

وانما يجب أن نلتمّ بالموضوع من جهة اخرى . وبنية على ما قاله
 علماء البلاغة أيضاً من أن « لكل كلمة مع صاحبها مقاماً » .
 وعلى ما قاله ابن المقفع - وقد سأله سائلٌ عن فصيح الكلام -
 « عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة » . تلك
 الألفاظ التي تبرأ منها أبو الأسود الدؤلي فقال

(ولا أقول لقدّر القوم قد غلّيت

ولا أقول لباب الدار مغلوق)

يعني أنه يقول : غلّت لا غلّيت . ومغلّق لا مغلوق .

اعلم أن الكلمات مطلقاً عربية أو دخيلة لها وضع ولها
 استعمال . فمهما عرفنا أن الكلمة وضعها أهل اللغة لمعنى ما . ومهما
 عرفنا أنها خالصة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس - لا
 نكون على بينة من أمر استعمالها في كلامنا استعمالاً نصيحاً بحيث
 نكون موافقين فيه أساليب البلغاء - ما لم نعرف كيفية استعمال
 تلك الكلمة . وكيف اعناد الفصحاء أن يقرنوها بغيرها . مما يناسبها
 من الكلم .

فاذا عرض لك في مقالة تكتبها مثلاً أن نقول «إن فلاناً
 لما توفّي صديقه كان يريد أن يبكي . لكنه ما كان يقدر على
 البكاء» ثم اتفق أن وقع نظرك في معاجم اللغة على كلمة تفيد
 هذا المعنى المركب وهي كلمة «العسفة» : قالوا ومعناها «أن يريد
 الرجل البكاء فلا يقدر» . فهل يصح لك أن تقول في مقالك
 المذكور «وإن فلاناً لما توفّي صديقه كان يعسف» . اعتماداً
 على أن الكلمة مما وضعه العرب . وقد ذكرت في معاجم لغتهم . وأنها
 فصيحة خالصة من التنافر ومن الغرابة ومن مخالفة القياس
 اللغوي ؟ أنت إذا استعملت هذه الكلمة في الجملة المذكورة
 مجرد رؤيتك لها في المعاجم تكون مجازاً غير مثبت من أمر فصاحة
 كلامك . ولا تكون مثبتاً في ذلك ما لم تعرف وراء وضع
 الكلمة طريقة استعمالها في كلام البلغاء . وبأية كلمة يقرنونها ؟
 وفي أي مقام يأتون بها ؟ وهل هي من ألفاظ السفلة . أو من
 الكلمات التافهة المبتذلة ؟ إذ «لكل كلمة مع صاحبها مقام» .
 كما قال علماء البلاغة . وعلى الكاتب أن يتجنب ألفاظ السفلة . كما

قال ابن المقفع . ولا فائدة للمرء في معرفة كون الكلمة
موضوعة وفصيحة ما لم يعرف طريقة استعمالها . ومعرفة طريقة
الاستعمال نتوقف على كثرة قراءة كلام الفصحاء . والتأمل في
أساليبهم . والموازنة بينها . ونقد مواضع الضعف فيها . فالذي
يعطيك ملكة الفصحاحة والبلاغة هو ما ذكر . أما المعاجم
التي تسرد مواد اللغة سرداً . وتفسر معناها . فهي إنما تفيدك بيان
معنى ما أشكل عليك فهمه من الكلمات التي وقعت في كلام
أولئك البلغاء والفصحاء . وهذه القاعدة تمشي على كل كلمة
عربية أصيلة . أو معربة دخيلة . فإذا كان كاتب السطور
من يتسع صدره لكل كلمة دخيلة في اللغة فليس معنى ذلك أنه
يمهد الطريق أمام اللغخانية (العجمة) تتغلغل في أحشاء لغته
العربية . ولا أنه يرحب بقول العامة اللازمة المالية (بتشديد الميم)
ولا بقولهم « أخذ فلان أهبة السفر » (بتشديد الباء) ولا بقولهم
وما افتتر يعمل كذا (بتشديد الزاء على وزن احمر) ولا بقولهم
الامر مناط أو منوط بك (بتشديد الواو) موضع منوط (بتخفيفها)

— وليس هو ممن ينسوخ حشر الكلمة الدخيلة في الكلام أية

كانت . وكيفما اتفق . من دون قيد ولا شرط .

كلا : القيد والشرط هو الملكة الصحيحة أو الذوق السليم
الذي يكتسبه المرء بمزاولة كلام البلغاء . ونظره في أساليب الفصحاء :
فيعرف إن كان يحسن أن تستعمل هذه الكلمة العربية أو
الدخيلة هنا . أ ولا يحسن ؟ وتحصيل تلك الملكة أو هذا الذوق
يتوقف أولاً على القابلية والاستعداد الفطري . ثم على دراسة
الكتب والتصانيف التي رُكبت فيها الكلمات الفصيحة تركيباً :
أي عرضت على أنظارنا مستعملة في الكلام البليغ . مثبتة في
موضعها منه . لا مسرودة سرداً . كما هو الشأن في المعاجم . لكن
على المرء أن لا يستهين بتلك المعاجم : فإنها مرجع كلام البلغاء
وعليها يتوقف حل رموزهم . واستخراج كنوزهم . فلا غرو إذ
إذا قلنا إن الملكة الصحيحة إنما تنال من تردُّد الذهن بين
كتب البلغاء . وبين معاجم اللغة . ومراوحة النفس بين مراجعة
هذه . وبين التأمل في تلك .

أما المعاجم فأشهرها لسان العرب والقاموس وشرحه
 والصحاح ومحيط المحيط وأقرب الموارد . ويمتاز هذا الأخير
 بسهولة المراجعة فيه . وتناول الكلمات منه عن كتب .
 وأما الكتب التي ترشدنا الى طريقة تركيب الكلمات
 وتدرّبنا على كيفية استعمالها فهي قسمان : قسم لم يكن الغرض
 منه الارشاد والتدريب . وإنما أريد منه شؤون ومقاصد أخرى .
 فجاءت هذه الشؤون والمقاصد مفرّغة في قالب بليغ فصيح :
 وهذا كالقرآن والمحدث وشعر عرب الجاهلية والمخضرمين وبلغاء
 الاسلاميين . وكخطب أهل الصدر الأول ومنشآت كتّابه .
 وكنهج البلاغة وكتابات المجاحظ وابن المقفع . وكتاب
 الأغاني والعقد الفريد ومقدمة ابن خلدون . وكالاحياء
 وتهذيب الاخلاق وأدب الدنيا والدين وكليلة ودمنة .
 والقسم الثاني ما كان القصد فيه تمرين الطالب وإرشاده الى كيفية
 استعمال الكلمات الفصيحة . والتراكيب الصحيحة . وهذا أيضاً
 قسمان : قسم التزم فيه السجع . وروعي فيه المواظ والرقائق

والآداب: كمقامات البديع والمحريري والزمخشري والاطواق
والاطباق . وقسم لم يلتزم فيه شيء من ذلك : كأساس البلاغة
والمثل السائر والألفاظ الكتابية ونجعة الرائد .

وعندي ان القسم الأول الذي لم يقصد في وضعه التمرين
والتدريب - مفيد فيهما . ومساعد على تحصيل ملكة البلاغة
اكثر من القسم الثاني الذي قصد فيه ذلك . وهذا على حد ما جاء
في الحديث الشريف : « من أخلص أربعين صباحاً لله نتفجر
ينابيع الحكمة من قلبه . ومن أخلص لأن نتفجر فلن نتفجر . »
هذا هو الاشتقاق والتعريب . وهذه كلمتي فيها
أقيها على مسامع أهل الفضل والآداب . وجهابذة النقد في
لغة العرب

تذيير

استشهدت في فصل «تأريج وملاحظات» صفحة «١٢٤» بمادة
 (العشم) - على المولّد الذي مدلوله حدث . وبعد طبع الملزمة
 ارتبت في صحة هذا الاستشهاد . وكشفت المعاجم : فإذا من
 معاني العشم (الطمع) . والطمع قد يكون بمعنى الرجاء الذي
 يريد به المصريون في استعمال كلمة «العشم» . قال تعالى : (والذي
 أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) . وإذا لم يصب عشمي في
 كلمة (العشم) فليعتبر القارئ استشهادي بها على سبيل الفرض
 ثم ليثبّل في ذلك المقام بكلمة غيرها . فلن يعدمها إذا طلبها .



هذه المقالة للمؤلف كتبها في موضوع الكتاب نفسه . وقد
نشرت في المؤيد عدد ٥٢٨٨ الصادر في ٨ أكتوبر سنة ٩٠٧

بحث لغوي

وكتاب جديد فيه

هل يباح في اللغة العربية دخول كلمة أعجمية إليها؟ أو
أن يُحَدِّث المتكلمون بالعربية اليوم أو قبله - كلمة لا يعرفها العرب
أنفسهم . سواء كان بالاشتقاق من لغتهم . أو بالاقْتِباس من لغات
جيرانهم؟ وبالجملة هل إنَّ المَعْرَب والمولَّد مما يصح استعماله في
الكلام العربي؟ أو لا يصح فيكون الكلام الذي يتضمَّنُه مشوَّهاً
غير فصيح أو غير بليغ؟

هذا السؤال أو هذا الاشكال ما يخطر لكل كاتب .
ويتردَّد في نفس كل قارئ .

وقد كتب بعض القراء إلى المؤيد ينتقد استعمال كلمة «سبت»
للوعاء الذي يضع فيه الباعة في مصر الفواكه والأثمار . وقال

صوابه «سفظ» فاللازم استعماله: لأنه العربي المحض. أما سبت
فمولد أو محرّف عن سفظ. وكتب آخر مقالاً مسهباً في التمثيل
فقال إن «المرسخ» خطأ وصوابه «المرزح» بالزاي: لأن أهل
اللغة قالوا في تفسير المرزح هو المطمئن من الأرض. أما كلمة
المرسخ فلا وجود لها في كتب اللغة. ثم جعل الكاتب يكرر
«المرزح» في كل مقام اقتضى ذكر المرسخ فيه من مقاله المذكور.
وكتب أديب آخر يقول: شاع في أيامنا استعمال كلمة
«سكرتير» نقلاً عن اللغات الأجنبية حتى آضت جزءاً من العربية.
وهي (أي العربية) في غنى عنها: ففي لغتنا كلمة «ناموس»
وهي أملأ معنى. وأوفي غرضاً. من كلمة سكرتير: قال في القاموس
«الناموس صاحب السرّ المطلع على باطن أمرك. ونامسه ساره»
ثم قال الأديب «ولا أرى عذراً مطلقاً لحشو كلمة «سكرتير»
في المواضع العربية البحتة كما كان الحال في لائحة نظام المدارس
الاميرية أيام كان المستردنلوب «ناموساً» بنظارة المعارف» يعني
سكرتيراً لها. الكتاب كثيرون. والقراء أكثر. والكلمات الدخيلة
أكثر منهما. وقد أخذت شكوي محبي اللغة العربية في التكاثر

خائفين أن تفسد اللغة . أو تموت كلماتها التي يصح أن تنوب
 مناب الأخرى الدخيلة . وقد سمعت أنفاً نموذجاً من شكاوي
 الكتاب والقراء . ولو كنت تصغي إلى حديث أولي الفضل
 والأدب لسمعت في حديثهم وحوارهم ما يرشدك إلى مبلغ
 عنايتهم بهذا البحث . واختلافهم في شأن الكلمات الدخيلة .
 وما هو المقبول منها ؟ وما هو غير المقبول ؟

إن لي رأياً في المسئلة ربما لم يوافقني عليه إلا القليل .
 وهذا لا يمنعني من إبدائه ونشره وتأنيده : اللغات ليست بمادتها
 وكلماتها . وإنما هي بأساليبها وتراكيبها . فهذه هي المزية التي
 تميز لغة عن لغة . وبالمحافظة على أساليب اللغة وتراكيبها
 تحصل المحافظة على نفس اللغة . أما الكلم والألفاظ فأنها تتغير
 وتبدل وتتجدد من عصر إلى آخر . تبعاً لتجدد البئات والمؤثرات :
 فقد تموت وتندثر كلمات من قديم اللغة . ويقوم مقامها كلمات
 حديثة من لغة أخرى . احتكت بها . أو بارتها في ميدان واحد .
 فتتمصها اللغة الأولى . وتبقى على حالها . فلا يقولن قائل إن
 تلك اللغة صارت بهذه الكلمات الجديدة الطارئة عليها — لغة

أخرى جديدة

ليس له أن يقول ذلك لأن الأسلوب الخاص بتلك اللغة
 ثابت باق: فهو يطور الكلمات الدخيلة • ويمثلها الى بنية لغته • كما
 يمثل جسم الإنسان الدقائق الغذائية التي يتناولها من لحوم
 الحيوان - الى جسمه • ويبقى مع هذا انساناً: لمحافظته على شكله
 وصورته • وإن كانت كل دقيقة من جسده محولة عن دقيقة
 من أجسام الحيوانات التي أكلها •

وأظهر مثال لما قلنا - اللغة التركية: فانها مستقلة بأساليبها
 وتراكيبها الخاصة بها التي تميزها عن غيرها من اللغات • وان
 كانت (أعني اللغة التركية) مؤلفة من كلمات متعددة ومن
 لغات مختلفة: كالعربية والفارسية والفرنساوية • فلو كانت
 الكلمات الدخيلة في اللغة تضير اللغة أو تحط من قدرها لضرار
 ذلك اللغة التركية • وأفسدها • وأذهب رونقها • على أن الأمر
 بالعكس: فإن تلك اللغة باقتباسها الكلمات العذبة الرشيقة من
 اللغات المختلفة تعد من أحسن اللغات وأعذبها وأرشقها أسلوباً

لا نقول إنه يحسن منا معشر أبناء اللغة العربية أن نلقأ أمنا
 فنحشر إلى أحضانها من الكلمات الأعجمية ما اتفق - كلا .
 وإنما أريد أن لا نرفض استعمال الكلمة الأعجمية أو المولدة إذا
 اصطحننا عليها . وألفتها ذواقنا . وأنست بها أسماعنا : فكلمة مرسح
 شاعت بيننا : فنحن نفهمها بسهولة . ولا ينبو سمعنا عنها . فلماذا نقلوها
 ونبحث عن أخرى سواها ؟ كان أسلافنا يستعملون الكلمات
 المعربة من لغة أخرى مع علمهم أن في لغتهم كلمات تقوم مقامها .
 فكيف نجفون نحن كلمة « مرسح » ولم يكن في لغتنا ما ينوب منابها ؟
 المرزح الأرض الواطئة . وأين الأرض الواطئة التي قد تكون مستنقعاً
 تسرح فيه الديدان - من الأرض العالية التي نتجلى عليها الغيد
 الحسان ؟ ويقول آخر : المرشح مقلوب « مرسح » فالواجب أن
 نستعمل الأصل . ولكن كيف نسمي المرشح مسرحاً ؟ وأى
 شيء يسرح فيه ؟ وليس هو من الاتساع بحيث يكون مسرحاً
 للاعبين فيه . اللهم إلا إذا قلنا إن الأَبصار تسرح في نواحيه .
 وكل هذا في اعتقادي تكلف لا حاجة إليه . ولا جهابذة اللغة
 يلزموننا به . أو يحضوننا عليه . وكلمة « سكرتير » اعتدناها وصقلتها
 أسنتنا كما اعتاد أسلافنا « سكتنجين » وصقلوها بالسنتم . وساغوها

بلهواتهم . فما الحاجة الى نبد كلمة السكرتير وعزها وتعيين «الناموس»
 ليؤدي وظيفتها . يمكن للكاتب أن يشاروا على تفسير «السكرتير»
 بالناموس كما عرضت في كلامهم . بحيث تشيع ويتلقفها الفهم كما
 يتلقف معنى «السكرتير» على نحو ما صنعوا في كلمة «بالون»
 فانهم ما زالوا يفسرونها بالمنطاد . ويقرنونها بها . حتى شاعت هذه
 وتعرفت بيننا . وهو حسن . ولكنني مع هذا لا أرى أن نهجر كلمة
 «بالون» بالمرة . ونسئ صحبتها لا لسنتنا وأقلامنا سنين عديدة .
 بل أرى أن نحفظ عهدا . ونرعى ودها . ونستعملها أحيانا كما نستعمل
 كلمة «منطاد» ونعتبرها كلمتين مترادفتين في لغتنا العربية كما
 اعتبرنا «يم» و «بجر» مترادفتين مع أن الأولى معربة . و «صراط»
 و «طريق» مترادفتين مع أن الأولى معربة أيضا .
 اذا تذكرنا لتلك الكلمات الدخيلة . واسأنا بها الظن . وقلبنا
 لها ظهر المجن . وعملنا على طردها من بين أظهرنا . أخشى ان
 يدر كها الخنق علينا . وتعمل على الانتقام منا . فتغري بنات جنسها
 أعني الكلمات المعربة كلها من قديم وحديث . بالاعتصاب العام
 ويصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطرر لغتنا . ويوت
 أشعارنا . وبديهي أن كلمة «الله» تكون معهن : لانها سريانية

او عبرانية وما ظنك بفئة « الله » معها ؟ لمن يكون الفلح
والنصر والغلبة ؟ لا جرم أن تلك الكلمات الدخيلة الاعجمية الاصل
التي لا اعداد لها لو غادرت لغتنا لآبقت فيها فراغاً واسعاً . يعسر
علينا أن نملاهُ بكلمات عربية أصلية : من ذلك عدة آيات
واحاديث اذا غادرتها كلماتها الاعجمية مست الحاجة إلى أن
يخلفها غيرها من العربية المحضة . وفي هذا ما يدعو الى وقف دورة
الفلك وإعادة ماضي من الزمن . وتجديد أمر البعثة . وإينزال
الوحي . اللهم غفرا

وقد سبق لبعض قراء المؤيد أن كتب ينتقد بعض كلمات
جاءت في كلامي من قبيل الدخيل . وعاتبني على ذلك : ذاهباً الى
أن تلك الكلمات مما يحطُّ من قدر الكلام . ويشوه فصاحته .
فكان هذا باعثاً لي على تأليف كتاب في هذا الموضوع . وسيقدم
الى الطبع فالتشر . وبعرض على حضرات الادباء والفضلاء
ذري فيه رأيهم . ونسمع عليه حكمهم انتهى

وهذا هو الكتاب قد تم طبعه

والحمد لله

فهرست

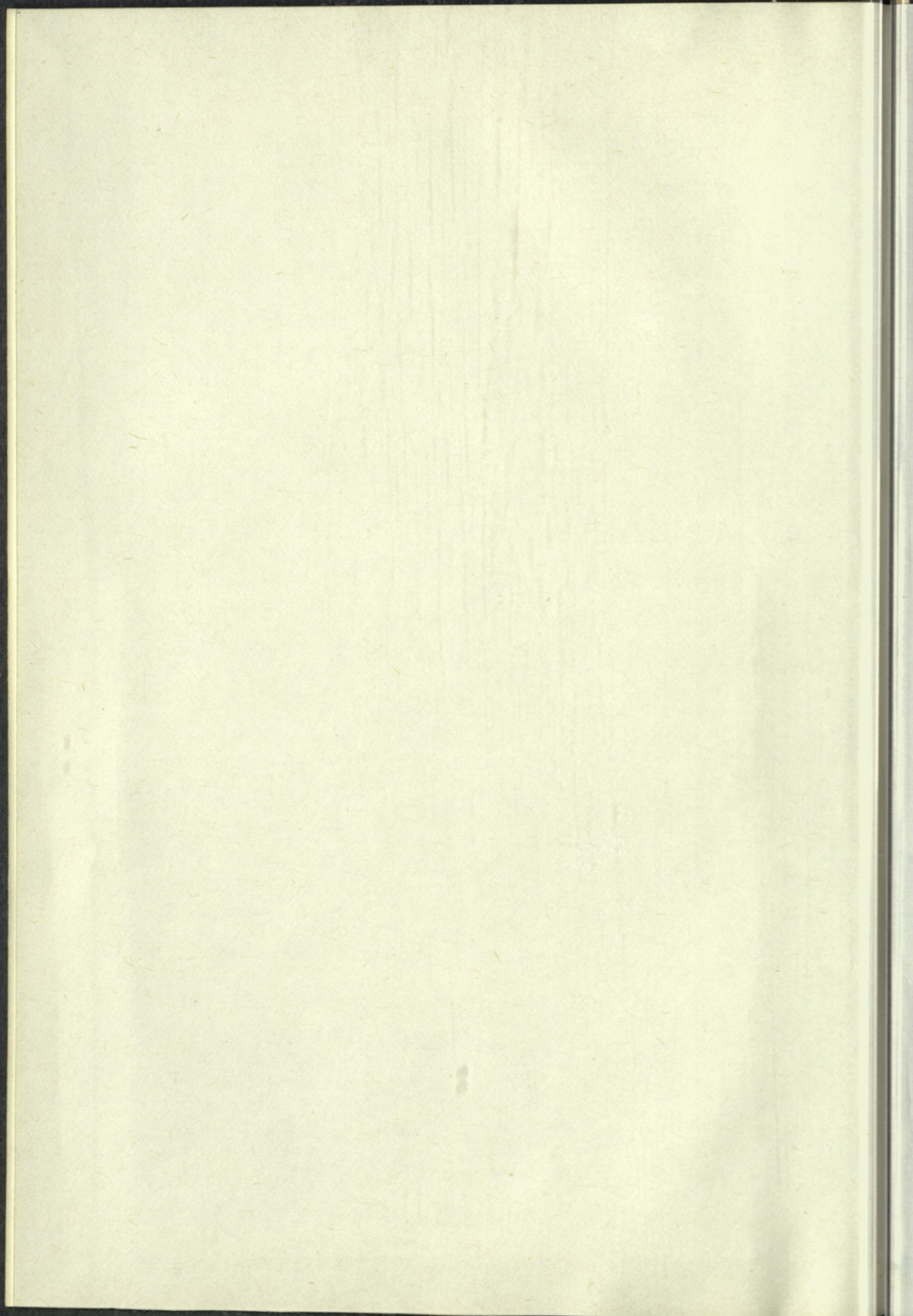
٦٨	التعريب قيامي	٣	خطبة الكتاب
٧٥	معربات السنة	٥	مقدمة
٧٦	المعرب عربي أو بمنزله	٩	الاشفاق
٨٢	قد يكون المعرب فصيحاً	١٤	القلب
٩١	طائفة من معرب كلام النصحاء	١٨	الابدال
١٠٣	المولد	٢١	النحت
١١٥	المحدث أو العامي	٢٦	التعريب
١١٧	نتائج وملاحظات	٣٠	تكوين الجنس العربي ونشوء لغته
١٣٢	الخاتمة	٣٧	نحو اللغة بالدخيل
١٢٩	تنبیه	٤٤	وظيفة التعريب
	مقالة في موضوع الكتاب كانت نشرت	٤٧	معربات القرآن
١٤٥	في المولد	٥١	طائفة من المعربات
		٦٣	شرط التعريب

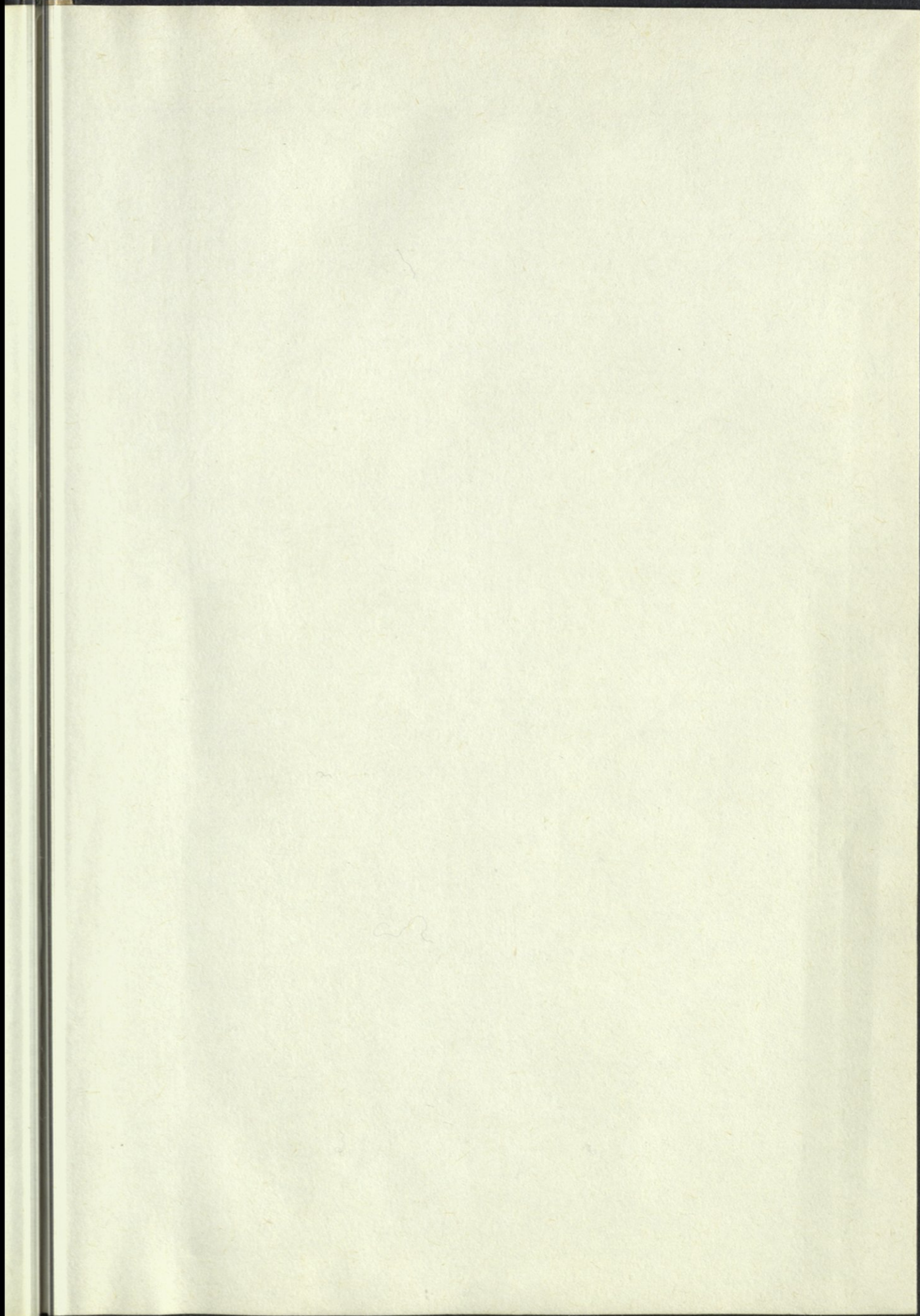


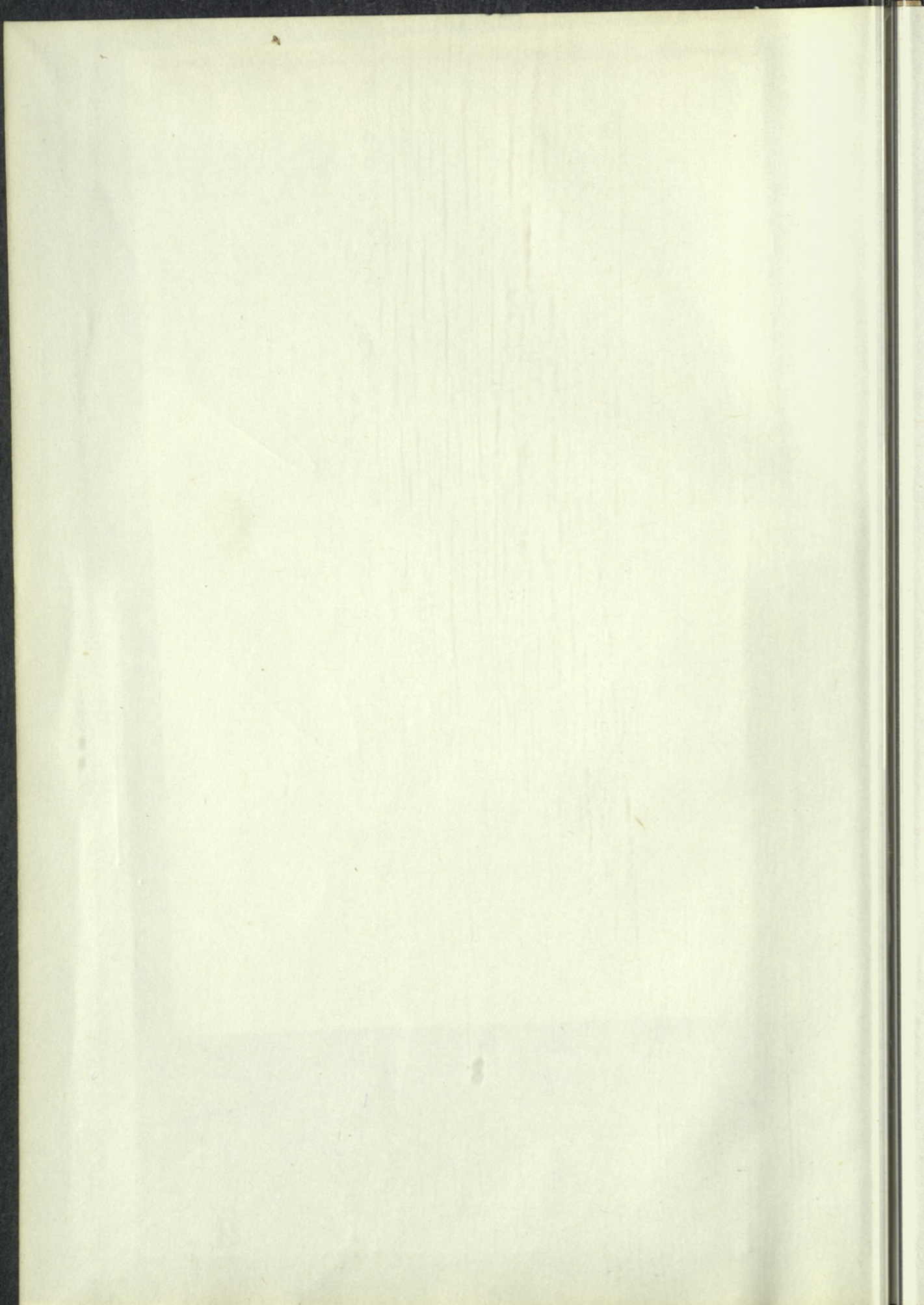


Table-Of-Contents

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----







DATE DUE

JAFET LIB.
* 15 JUN 2010 *

Union Dept. 4

JAFET LIB.
* 21 JUN 2012 *

Union Dept. 5

492.72

2

492.7:M19iA:c.1

المغربي، عبد القادر بن مصطفى
الاشفاق والتعريب...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01025521

492.72
M19iA

400 501 2810A